طبعة ثانية 2006

التكفير والتكفير المضاد

المحامي

فايز علي سلهب



التكفير والتكفير المضاد

عنوان الكتاب : التكفير والتكفير المضاد
اسم المؤلف : المحامي فايز علي سلهب
الناشر : دار الفرقد
الطبعة الثانية : 2007

تصميم الغلاف : الفنان الحكم النعيمي

دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق
هاتف : 6660915 - 6618303 (11-00963)
ص . ب : 34312 فاكس : 6660915 (11-00963)
البريد الإلكتروني : info@alfarqad.com
الموقع على شبكة الإنترنت : http://www.alfarqad.com

المحامي فايز علي سلهب

التكفير والتكفير المضاد

دراسة

تقديم
من الدَّربِ إلى الصِّراط

بقلم د. عمر أبو زلام

يمتلك الأستاذ فايز علي سلهب طاقة مُشِعَّة متميِّزة الإبداع، فيما ينتجه أو يقترحه للبحث، معرفياً أو حضارياً، فهو يمتح من مخزونه ما يتواءم ويتكامل لمعالجة الشذوذ الآخذ في الازدياد، سبيلاً للهداية، بل سريعاً ما يُعَصْرِنُهُ ويُفعِّله ويمدُّه بنسغ الحياة، لينصر إيماناً أو ليستأصل باطلاً، وإذا وُجِدَ في بعض الباطل طريقاً أو أملاً في علاج دفعه إلى غرفة الإنعاش حتى يتحوّل سريعاً إلى قوة خيِّرةٍ فعَّالة.

وهو يُركِّزُ على الغزو الكثيف الذي جاء من الغرب يواكبه جراد تسلَّل إلى منائر الإيمان، مُزِّيفاً المعتقدات بغية الوصول إلى أهداف استعمارية باسم الكفر والتكفير، ليفضح وسائل أصحاب هذه الدعوات من دهاقنةٍ ورهابنة ومشايخ فهموا الرسالات السماوية فهماً خاطئاً وأدُّوا بتشنجهم الذي لا مسوِّغ له إلى إزهاق أرواح كثيرة بريئةٍ باسم الرَّبِّ البريء منهم ومن دعواتهم المزيفة المارقة.

لقد صاحب المشرق منذ فجر التاريخ الإيمان الحق، واختاره الباري، عزَّ وجلَّ، موطناً للتبشير بالسلام والحضارة والإنسانية، فكان هذا الشرق المحراب الأقدس لإقامة التعاليم الدينية والروحية والاجتماعية والأخلاقية الحقّة، وكان من الطبيعي أن تتصدر هذه التعاليم الخيِّرة إلى شتَّى بقاع العالم، داعية إلى خير الإنسان وسلامه وتعايشه مع أخيه الإنسان.

وإذا كان موقع الشرق، بحكم وضعه المتوسط بين الحضارات الدولية المختلفة، قد جعله عبر التاريخ مطمعاً للقوى المختلفة لاستغلاله واستعباد أبنائه، فإن له من تعاليمه الدينية التسامحية المقدسة، والتي استفاد منها عِبر العصور في استعادة حريته وإنسانيته ومتابعة دوره الحضاري الريادي المستمسك الأقوى الذي يبقيه على جادة الصواب دوماً، ويردُّ عنه الطامعين ويوقفهم عند حدِّهم، كما حصل عبر التاريخ وكما تسعى قوى حالية لتكريسه وضعاً استعمارياً يحتوي المنطقة العربية ومنطقة الشرق ودول العالم الثالث، لتسير في موكب قوّة محدَّدة طاغية طامعة بقيادة العالم أجمع لمصالحها الدَّنيئة.

فلردِّ هذه القوى الطامعة، وكشفها على حقيقتها جاءنا الباحث الأستاذ فايز علي سلهب بدراسته المعمَّقة هذه، واضعاً النقاط على الحروف بدِّقةٍ وبعين المدقق الأصيل وبقلبٍ نقيٍّ واعٍ.

وقد وجدته بحثاً متكاملاً قيِّماً جديداً بأفكاره، جريئاً بطروحاته، صادقاً في عرضه، بعيداً عن التعصب والهوى، غايته إظهار فكرة التكفير التي فهمها الكثيرون ماضياً وحاضراً فهماً خاطئاً على أنها لجماعةٍ دون جماعة أو لدينٍ دون دين، بينما الأديان في حقيقتها

تمتح من معين واحد هو الألوهية الواحدة، ولا مجال لأن ينصب رجل دين أو فردٍ من الأفراد أو جماعةٍ من الجماعات نفسه مكفّراً للآخر، لأن هذا من اختصاص الرَّبِّ وحده، فمفاتيح الجنَّة والنَّار ليست في جُببٍ أو عماماتٍ أو لبوس رجال الدّين أيّاً كانت الأفكار التي يقولون بها.

وأخيراً أقول:

إن هذا البحث يُعدُّ من أهم البحوث التي تناولت مسألة التكفير بنوعيه؛ الديني والسياسيّ، فهو بحق يُعدُّ مرجعاً رئيساً فريداً من نوعه في المكتبة العربية.

وأرى أنه يستحق أن يلقى الرعاية والاهتمام من قِبل الجهات الرسمية المسؤولة عن الثقافة والفكر الحرّ، أينما وُجدت، وأن يُترجم إلى أكثر من لغةٍ عالمية، لما فيه من عرضٍ موثّق، وحقائق تاريخية ومفاهيم حضارية، يحتاجها الإنسان المعاصر في دفع مسيرته نحو التقدم والخلاص الإنساني، من دعوة تسامحية وحدانية الاتجاه وعقلانية الطرح وعلمانية النهج، وراقية الغاية.

وأجد أنَّهُ لا بدَّ لي في النهاية من توجيه الشكر الجزيل للأستاذ فايز علي سلهب على بحثه الموفق هذا، إذ فيه من الفكر الواعي، والأمور التي تضعنا على جادة الصواب، فنعي ما يحاك لنا ولمنطقتنا في الخفاء، الشيءُ الكثير، وهو علامةٌ مضيئة على درب التحرر والخلاص، فهنيئاً للباحث لعطائه هذا وإلى عطاءات مقبلةٍ يفيدنا فيها من فكره المتقدم الواعد بالخير.. كلِّ الخير.

دمشق في ٢١/١٢/٢٠٠٤م



تقديم

ندره اليازجي

غمرتني سعادةٌ، بلغت حدود الغبطة، وأنا أقرأ، بعمقِ الوعي وحكمةِ الرُّوح ومنطقِ العقل، كتابك «التكفير والتكفير المضّاد».

وشعرتُ، وأنا أتأمّل مضامينَ العباراتِ والأقوالِ والآياتِ التي ذكرتها، أن غايتكَ تمثّلت، في كلّ دراسة خاصّة بعقيدةٍ أو بمبدأ أو بشريعةٍ، في التأكيد على الأخذ بالحكمة المضمونة في كلّ واحدةٍ منها، واتَّجَهتْ إلى لومٍ أو عتابٍ أو إدانةِ الّذينَ حرَفُوا ديناميكية المعرفة الرُّوحيَّة إلى ميكانيكية التَّفسير الحرفي.

أولئكَ المجتهدون في نطاق الحرف والرَّافِضُون لأصولِ الحِكمة وسرّانيّة المعنى.

زَجُّوا الرُّوح والنَّفس والعقل في زنزانة فوضى التقييم، ودفعوا أبناء الإنسان عِنوةً وأجبروهم على الوقوف على شفير الهاوية، وألزموهم على الدخول إلى المتاهة التي لم يستطيعوا الخروج منها وهم يتزاحمون، ويتنازعون ويتصارعون بقسوةٍ وعنف.

إنَّهم أصبحوا مستعبدين للاجتهاد المزعوم الذي أتى به أبناء التفسير الحرفي الذين أدانوا ، أي كفَّرُوا غيرهم.

لقد أساؤوا فَهم مثالية مبدأهم وحقيقة عقيدتهم تماماً ، كما أساؤوا فهم مثالية وحقيقة مبادئ أو عقائد الآخرين.

وهكذا ، أدَّى هذا الاجتهاد ، الذي اصطبغ بلون التفسير الحرفي القاتم وتصلُّب بمنهجية عقائدية ، إلى الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة وانتهى إلى حرمان المُعتقدات أو المبادئ الأخرى من امتلاكها أو معرفة مضامينها.

وفي هذا المنظور ، يدين أصحاب المناهج العقائدية المُتَصلِّبة والمقيِّدةِ ، القابعون داخل نطاق العقيدة الواحدة والمنقسمون إلى طوائف متناحرة والمتمايزون عنهم خارج نطاقها ، بعضهم بعضاً على نحوِ صراع عقائديٍّ ينتهي فيه التنُّوع الحضاريّ والثقافيّ والدينيّ ، الذي أرادته الحقيقة السامية المثلة بالألُوهيّة قانوناً للإنسان ، إلى الاحتضار والموت.

في هذا المنظور ، تَمَنَّيتُ لَوْ أَنَّكَ هَيَّأتَ لِكِتَابِكَ ، الذي تَلوم فيه أو تُدين ، بمحبةٍ فائقة ، أُولئكَ الذين خَرَجُوا عن «الأصول» الحقيقيّة والجذور الواحدة للمبادئ وتاهوا ، كما ذكرتَ ، داخل التواءات وتعرُّجات «لا أصوليّة» منهجيّة طقسيّة ومعقدة ، بل ومضلِّلة ، لا تتصل بالأصول الحقيقية والجوهرية للمبادئ ، عنواناً ينضوي تحت مقولة «الإدانة والإدانة المضَّادة».

لقد أصبح العالم حقلاً للإدانات ، اصطنعه دعاة الحرف ليصير جهنَّماً أرضيّة.

والحق، إنَّ هذا العنوان تردد صداه في ضميري وعقلي، وأنا أعلم أن صفحات التَّاريخ ممتلئ بالكثير من الشعارات الزَّائفة التي تُدين أو تُكَفِّر أو تُشَوِّه الحقائق التي تتميَّز بها الحضارات والثقافات والمفاهيم الإنسانية السامية.

وفي الوقت ذاته، تُدين الشعارات العقائدية الزَّائفة والتَّائهة في تَعصُّبِهَا أو تُكَفِّر بعضها لسببٍ هو أنَّها تتقوقَّع داخل مركزيّة ذَاتِهَا وتَعجزْ عن الامتداد إلى مركزيّة ذاتِ الآخرين.

وبالمثل، تُدين القيم والمفاهيم الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة أو تُكَفِّر بعضها لأنَّها تتصلَّب وهي تسوّغ إيديولوجيات ومنظورات تؤدي، وهي تتعصَّب لمواقفها، إلى الصِّراع والنِّزاع.

وفي هذه الإدانة أو التكفير وعدم الاعتراف أو القبول بالآخر، تكمُن بذورَ الشَّر وأنواع التمييز العرقي والعنصري والديني، وسُوء الفهم وضيقُ الأُفق الفكري، وحُرمان الآخر من حق التعبير، وقمع العقيدة أو المبدأ أو الموقف الفكري الذي لا يخضع لهيمنة العقيدة السَّائدة أو للعقيدة التي تدَّعي الحق لامتلاك الحقيقة المطلقة.

وهكذا، يصبح العالم حلَبَة صراع تُستبعد منها الحقيقة ويسُود فيها الجهل والكراهيّة.

صديقي:

إذ تَمثَّلت ما جاء في كِتابِكَ بِحكمةٍ ووعي، أَدركتَ أنَّك تتميَّز بمثاليّة أمدَّتك بالقدرةِ على التَّأليف بين الحقائق المتنوعة والمتعددة في

جوانبها التعبيريّة، اللّفظيّة والتأويليّة، والكامنة في الحقيقة الواحدة الماثلة في جوهر الأديان والثقافات والمبادئ.

في هذا المنظور، رأيتك تتجاوز مفهوم «التعبير اللّفظي» إلى مفهوم «التعبير التأويليّ» الذي يتسامى فيه الوعي إلى الرُّوحانيّة المُثلى.

والحقُّ، إنَّ مُعضلة «التَّعبير اللّفظي» والبقاء في نِطاق حرفيّة المبنى والتغاضي عن عقلانيّة أو روحانيّة المعنى قضيّة تُعيق لقاء العقول البشريّة، وتحول دون تآلف النفوس والأرواح في حقيقة واحدة سامية، هي الألوهة التي تجلّت في تنوعات التعبير.

يُسعدُنِي أن أقول: إنَّ رؤيتكَ أو معانيتكَ لما يتألّق، على نحو تكامل وتآلف، في باطن أو جوهر الحقيقة الواحدة المتجليّة في تنوعات التعبير اللفظي على نحو مؤشر، وفي تنوعات التعبير التأويلي على نحو عرفان أو معرفة جوهرية، موضوع يستحقُّ التقدير والاحترام.

لقد أعدتَ الكثرة المتنوعة، التي بلَغت حدَّ التّمزُّق والتجزئة والانقسام على أيدي الحرْفيين والمعروفين بمحدوديّة تفكيرهم وضيق بصرهم وبصيرتهم، إلى الوحدة المنسجمة والمتآلفة في تنوعات وتعددات وألوان تعبيراتها.

هكذا، وجدتُ فيك إنساناً كونياً مؤمناً بالتنُّوع الحضاري والثقافي والديني، وبالوحدة الباطنيّة والجوهرية اللاّحمة لتعددات التعبير والصياغة ضمن هذا التنُّوع.

وبالإضافة إلى هذا الإيمان المبني على عقلانية منفتحة، رأيتُ فيك مفكّراً يُدافع بحماسة عن حق التعبير على نحو تلتقي فيه التنوُّعات الظاهرية

حيث يظلُّ طيفَ الوعي الإنساني متكاملاً على نحو لا يُقتطع منه جزء أو مرحلة، وحيث يبقى نهر الحضارة والثقافة والدين محتفظاً بوحدة تلتقي فيها الرُّوافد العديدة والمتنوعة على نحوٍ تآلف يشمل التاريخ الرُّوحي للإنسانية.

صديقي:

تَمَثَّلْتُكَ، وأَنْتَ تَعود إلى الأصول والجذور التي انبثقَت منها المبادئ المتنوعة في هذا الشرق، الإنسان الرَّاقي الّذي يدعو إلى المحبَّة والسلام والتفاهم، وإلى اعتبار الإنسانية شجرة واحدة تتأصَّل في جذور واحدة وتتغذَّى منها على نحو متساوٍ ومنصف، وتتميَّز بفروع، هي أغصان عديدة ومتنوعة تتمثَّل ضوء الشمس على نحو متساوٍ سواء بسواء..

رأيتُكَ تَدعُو إلى تمثُّل الحقيقة الواحدة الماثلة في تنوُّعات التعبير.

رأيتُكَ تُدافع عن الأصول الواحدة التي تدعو إلى وحدانيّة المبدأ والحقيقة.

رأيتُكَ تُخرج أُولئكَ الذينَ قيَّدوا الرُّوح بعشق الحرف من دائرة أو نطاق «الأصول» الجوهرية إلى دائرة أو نطاق «اللا أصول» الذي تتجذَّر فيه أنواع النِّزاع والصِّراع المؤدية إلى الحروب.

رأيتُكَ إنساناً يمتلئ بقُوَّةِ الرُّوح، ويدعو إلى إجلال الحياة في عالم إنساني تسوده المحبّة والإخاء والسلام.

رأيتُ فيكَ مصلحاً يُناشِدُ أبناء الإنسان نبذ الفعل (الإدانة أو التكفير)، وردِّ الفعل (الإدانة المضَّادة أو التَّكفير المضَّاد)، ويدعوهم إلى إدراك الحقيقة الماثلة والمكنونة في المبدأ الذي أعلنه المسيح عليه السلام :

«من يأخذ بالسَّيف، سيُؤخَذ بالسَّيف».

رأَيتُ فيكَ الإنْسَان الوَاعي الّذي، في فهمه لقيمة ومعنى وجوده الأرضيِّ والكونيّ، يدعو النَّاس إلى التَّسامح المتحمِّل وإلى تجاوز الخطأ الصَّادر عن الآخرين، وإلى عدم تنصيب أنفسهم قضاة يحاكمون بعضهم بعضاً ويدينون أو يكفِّرون بعضهم بعضاً ليكون الله وحده الحكم الوحيد في قضايا النَّاس وشؤونهم والعارف الوحيد لخفايا قلوبهم وأفكار عقولهم.

دمشق في ٢١/١١/٢٠٠٤م

إهـداء

إلى شهداء الحق الذين قُتِلوا باسم الحق...

إلى شهداء الإيمان الخالص الذين قُتِلوا باسم الكفر والارتداد...

إلى شهداء الكلمة والرأي...

إلى شهداء الحرية الذين قُتِلوا وذُبِحوا وسُجِنوا وشُرِّدوا

ثمّ نهبتَ أموالهم وهتِكتْ أعراضهم بدعوى أنهم أعداء الحرية وإرهابيون..

إلى من بقي يجاهد اليوم وغداً وبعد غدٍ

إليك أخي الإنسان

إليكم جميعاً أقدم بكل تواضع هذا البحث، وفاءً لكم..

لأن مـنكم مـن كـان الـدّمَ الطـاهرَ المتـدّفقَ علـى مـذبح الحـقّ والعـدلِ والحرّيّة.. ومنكم من على الدّربِ يسير..

نـداء

إلى الناطقين باسم الرَّبِّ الإله الحيّ..

إلى المظلومين والثكالى والأطفال والمشردين، والجائعين..

إلى من غيبتهم سيوف الباطل وسجونه الموحشة..

تعالوا بقلوبكم الكبيرة النقية، وبنفوسكم الهنيةِ والمتسامحةِ لنصافح من قتلنا، من آذانا، من شردنا، من أكل لقمة عيشنا، من ارتدى ثوبنا، من انتعل حذاءنا نذكره بقوله تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى ٤٠]

وبقوله مسيح المحبة والسلام عليه السلام :

«من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً» متى ٣٩/٥ -٤٠

وفي قول سليمان الحكيم عليه السلام :

«البغضة تُهيِّجُ خصوماتٍ والمحبةُ تستر كل الذنوب» أمثال ١٠/١٢



مقدمة

كـان التنـوع في الثقافـات والمعتقـدات سـواء أكـان بـين الأفـراد في الأسرة الواحدة أو بين المجموعات البشرية في كل زمان ومكان – أحد المصادر الرئيسة للتجدد والإبداع والتطور العلمي والمعرفي التي من أجلها يرقى بالإنسان درجات على سلم الأنسنة المتحضرة العاقلة، مما يُلبِسُ الإنسان والطبيعة وشاح المحبة والسلام، وهذا التنوع ما زال يؤدي دوره الريادي في تحضر الشعوب ورقيها.

وإرادة الخالق شاءت أن يكون الإنسان خليفته في الأرض، وبالتالي فهو سيد هذا الكوكب والعقل المدبر الوحيد فيه، وأمره عز وجل بعبادته وفعل الخير والتعايش بسلام ووئام مع أخيه الإنسان بصرف النظر عن دينه وجنسه وجنسيته، وذلك بموجب الصبغة الحسنة التي صبغ الخالق العظيم الإنسان عليها وهداه بوساطتها إلى الطريق السوي والذي يؤدي إلى عالم الخلود.

وما الأنبياء والرسل ورسالاتهم السماوية إلا رحمة من الرحمن الرحيم لنقل الإنسان من عالم الجهل إلى عالم المعرفة، ومن ظلمة

التعصب والهوى والتقوقع إلى نور المحبة والتسامح والانفتاح والتعايش بوئام.

فالدين جاء لتهذيب وتشذيب النفس البشرية لا إلى دفعها نحو الهاوية المتمثلة في التفريق والتكفير وإلغاء الإنسان الآخر وإباحة قتله وسلب أمواله وهتك عرضه.

فبقدر ما يكون الإنسان سيداً حراً كريماً تكون سيادته لهذه الطبيعة راقية متحضرة؛ وبالتالي فهو الوحيد القادر على روحنة الطبيعة وإلباسها ثوب السكينة والوداعة وجعلها جنة أشبه بالفردوس الأعلى.

أما أولئك الناس الأشرار حاملو القلوب السوداء الممتلئة حقداً وكراهية وحسداً للآخر فهم أهل البدع والتكفير، الذين أرادوا أن يطفئوا نور الله بجهلهم وعصبيتهم، هؤلاء هم صانعوا التفرقة والتمزيق والاقتتال الطائفي والمذهبي والعرقي وحتى العائلي، تارة باسم الدين، وتارة باسم الحرية والديمقراطية والسلام العالمي. وكلاهما يشربان من منبع واحد منبع الصهيونية العالمية التلمودية الفاسدة.

إن بلاد الشام باسمها الكبير حضارياً وهي آسيا الأمامية كما سماها الدكتور المفكر (أحمد أسعد الحارة).

كانت أرض الرسالات السماوية ومهد الحضارة الأولى ولوح أبجديات التاريخ وصفحات أدب الشعوب وحضاراتها وذاكرة قصص

الأولين والآخرين وأول قلم خط به إدريس عليه السلام ، وهي قلم آخر من يختم كلمة (كن)؛ فهي بلاد السلام، والسلام هي..

لا تكفير ولا إرهاب في معتقدات شعبها، كل البشر أبناء الله وأحبهم إليه أكثرهم تقىً، والتقوى هي عبادة الله ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان مثل حبّه لنفسه وفعل الخير، ولا مكان للتخلف والجهل والبغضاء في أرضها.

فعندما نستعمل في صفحات كتابنا هذا عبارة:

«إن الإدارة الأمريكية لا نعني الشعب الأمريكي الطيب المسالم، وكذا الحال بشأن بريطانيا وغيرهما من الدول العظمى حالياً».

نقول إذاً:

- إن ما دفعنا إلى الخوض في هذا البحث ما تعانيه الشعوب العربية وغير العربية من ويلات الحروب والاقتتال والصراعات التي تعود أساساً - بداية ونهاية - إلى أسباب اقتصادية لا إلى أسباب دينية أو عقائدية أو تحررية أو ديمقراطية، كما يدعي صانعوا هذه الحروب والصراعات.

ولقد أوجزنا البحث في تمهيد تتضمن مفهوم التكفير الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وضربنا أمثلة عن كلٍّ منها.

وأربعة أبواب فقط؛ ففي الباب الأول تناولنا التكفير في الرسالات السماوية وأولها التوراة وخصصنا الباب الثاني لموضوع التكفير في

الرسالة المسيحية (الإنجيل)، وضم الباب الثالث التكفير في الرسالة المحمدية (القرآن) وبيَّنّا أن الرسالات السماوية الثلاث خالية تماماً من نصوص التكفير وإلغاء الآخر إلا أن بعض رجال الدين من أتباع الرسالات السماوية الثلاث أوجدوا بمحض إرادتهم وبعيداً عن النصوص الرسالية السماوية الثلاثة نصوصاً وفكراً تكفيرياً مخالفاً لما أراده الله جلَّ جلاله من هذه الرسالات السماوية السمحة، وأباحوا بموجب هذه النصوص التكفيرية الإرهابية قتل الإنسان لأخيه الإنسان في العقيدة أو في الإنسانية بحجج كاذبة مدَّعين أنهم أولياء الله ووكلاؤه في الأرض، وفي عماماتهم مفاتيح الجنة والنار.

و أوضحنا بموجب نصوص رسالية سماوية أن التكفير بدعة شريرة وحالة سلبية وعقيدة فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان.

وتناولنا في الباب الرابع أيضاً التكفير المعاصر متضمناً التكفير السياسي والتكفير الثقافي والاجتماعي والاقتصادي؛ وقلنا:

إن كلا التكفيرين الديني والمعاصر يصبان في خندق واحد وغايتهما واحدة ومنبعهما واحد هو الفكر اليهودي الصهيوني التلمودي الشرير، وأستاذهما واحد هو رئيس المحفل الماسوني العالمي، وقلنا:

إن التكفير يخلق دائماً حالة تسمى التكفير المضاد، فالأول حالة سلبية والتكفير المضاد حالة إيجابية، وختمنا البحث متمنين من الله العلي الأعلى أن نكون صادقين في لهجتنا، بعيدين عن التعصب والهوى

وأن يوفقنا الله – عزَّ وجل – في أن نكون من دعاة الأنسنة الراقية المسالمة كما أراد الله الحكيم الرحيم لنا عبر رسالاته السماوية كلها؛ كما نرجو لهذا البحث أن يحقق هذه الغاية المرجوَّة منه، والله من وراء القصد.

فايز سلهب



تمهيد

رأينـا أنـه لابـد مـن التعـرض لتعريـف الكفـر و أنواعـه في البـدء حتـى يتيسر للقارئ قراءة البحث بشكل مترابط ومتسلسل.

تعريف التكفير وأنواعه

الكُفْر: كَفَرَ الرجل يَكْفُرُ كُفْراً وَكُفُوْراً وَكُفْرَاناً؛ ضدّ آمن. وكفر بالصانع نفاه وعطله.

وكفر نعمة ربه: جحدها وسترها، وهو ضد الشكر.

وكفر بكذا: تبرأ منه. وفي (الكليات) الكُفر تغطية نعم المنعم بالجحود.

وكفر الشيء: ستره.

ويقال كفر درعه بثوب؛ أي: غطاه ولبسه فوقه.

وأصل الكفر الستر.

كَفَّرَهُ حمله على الكفر. وكَفَّرَ الله له الذنب محاه.

وَكَفَّرَ عن يمينه (ولا يقال كَفَّر بمينه) أعطى عنها الكفّارة.

واكتفر الرجل: لزم الكَفْر أي القرية.

والكافر اسم لمن لا إيمان له.

والكُفّار: جمع كافر وهو اسم فاعل وسمي الزارع بالكافر لأنه يغطي البذر بالتراب.

والكَفْرَ بالعبرانية القرية وبالسريانية (كَفْرًا) قرية أو حقل أو مزرعة.

وفي الحديث:

(تخرجكم الروم منها كُفرا كفرا) أي قريةٍ قرية من قرى الشام.

والكفّارة ما يُعطى مقابل تغطية الإثم وغيره.

وشرعاً: ما كُفّرَ به من صدقة وصوم ونحوهما. كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة القتل خطأ. (محيط المحيط ص ٧٨٤ -٧٨٥)

الشِرك: الشرك كفر بالله وجعل له شريكاً فهو مشرك ومشريكيٌّ والمشرك الكافر بالله.

وذهب بعضهم إلى أن الشرك يشمل عبدة الأوثان.

وقال آخرون:

من جحد رسالة الرسول محمد(ص) . (محيط المحيط ص٤٦٣)

النفاق: المنافق من شهد وعمل ولم يعتقد أي أظهر إيمانه بلسانه وستر كفره بقلبه. (محيط المحيط ص ٩٠٢)

الفسق: من شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق بمعنى خروج عن الحق. (محيط المحيط ص٦٩٠)

الدهرية:من يذهب إلى قِدَمِ الدهر وإسناد الحوادث إليه فهو دهري أي أن كل شيء يعود بوجوده وحركته إلى عوامل زمانية مكانية.

المعطّلة: أصحاب مذهب التعطيل وهم الذين ينكرون صفات الباري أو لا يثبتونه. (محيط المحيط ص ٦١١).

الزّندقة: من يبطن الكفر ويظهر الإيمان كمن يعترف بنبوة النبي (ص) ويبطن عقائد هي كفر بالاتفاق. (محيط المحيط ص ٣٨١، ٧٨٥).

الصّابئة: صبأ الرجل يصبأ أي خرج من دين إلى دين آخر والصابئ اسم فاعل والصابئة قيل هم فرقة من النصارى يعظمون الكواكب كتعظيم المسلمين للكعبة.

وقيل إنهم قوم يزعمون أنهم على دين نوح؛ وهم المراد بقوله في سورة البقرة، الآية (٦٢):

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

القدرية: الذين يقولون إنَّ كلَّ عبدٍ خالقٌ لِفعلِهِ، أي يجحدون القدر الإلهي، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. (محيط المحيط ص ٧١٩).

ماهية الكفر: باختصار شديد هو إنكار وجود الخالق أو الجحود بنعم الله عزَّ وجلَّ، وبالتالي من لا يؤمن بالإله الحي الباقي وينكر

---

(١) موجود في العراق بالجنوب ولا يزيد عددهم عن (٥٠٠٠) نسمة.

قدرته وإرادته ونعمه على عباده فهو كافر ومن تحصيل الحاصل أن من لا يؤمن بالله يكون من الكافرين بكتبه ورسله وأنبيائه وبيوم القيامة.

وهذا المفهوم؛ هو مفهوم خاص بالله تعالى صاحب الأمر في التكفير والمغفرة ولم يفوِّض أحداً من خلقه سواء أكان رسولاً أو ملاكاً بتكفير الناس أو بالمغفرة لهم.

والتكفير كما ورد في الرسالات السماوية (التوراة -الإنجيل - القرآن) يعني (إبعاد) الكافر عن رحمته تعالى وحجبه عن عالم الخلود والوجود الرحماني و(حرمانه) من النِعَمْ الأخروية وإلحاقه بعالم المسخ ومساواته بالدواب وهذه أسوأ مراحل جهنم وبئس المصير.

الأصولية: من أصل الشيء بمعنى أوله وأساسه، فأصل الجبل قاعدته، والأصولية الإسلامية تعني حقيقةً المؤمنين بالله ورسوله (ص) وكتابه القرآن الكريم والعاملين بما أمر الله، والتاركين لما يغضب الله.

لأن الأصل في الإسلام هو نبي الله ورسوله (محمد) الأمين وكتابه القرآن الكريم والسنة النبوية للرسول (ص) .

اللا أصولية الإسلامية: تعني تلك الفئة من المسلمين الخارجين على الله ورسوله محمد (ص) وكتابه القرآن الكريم والمارقين عليه والعاملين بما يخالف الشرع الحنيف المسلم، والمفسرين للآيات القرآنية والأحاديث النبوية تفسيراً مخالفاً لما أراد الله ورسوله، وذلك من أجل غايات وأهداف ومصالح دنيوية.

خلاصة:

إن الأحزاب والجماعات السياسية الدينية التكفيرية هي التي يجب أن يطلق عليها اسم (الحركات اللا أصولية)، لأنها خارجة بفكرها وعملها وعقيدتها عن الأصل الطاهر الأمين وهو نبي الله ورسوله محمد(ص) وكتابه القرآن الكريم الذي هو كلام الله سبحانه.

إننا نرى أن الغاية من تسمية هذه الحركات والأحزاب الدينية التكفيرية والإرهابية بالأصولية الإسلامية هي الطعن بالرسول محمد (ص) وبكتابه السماوي القرآن الكريم؛ وبالتالي فإن المسلمين والعرب من وجهة نظر أعداء العرب والمسلمين، مثل نبيهم محمد (ص) أناس ساديون إرهابيون لا حضاريون، ويجب القضاء عليهم وسلبهم واحتلال أوطانهم، فهم خطر على السلام العالمي حسب زعم أصحاب هذه التسمية.

ونرجو من السادة رجال الفكر والعاملين في الحقل الإعلامي العربي والإسلامي أن يعيدوا النظر في التسمية وأن لا يشاركوا أعداءهم في ترويج ذلك الفكر الذي هو ضدهم والأصولية بالمفهوم الغربي والمقتصرة على المفهوم الديني هي بالطبع مفهوم قاصر لأن الأصولية الحقّة هي أصولية اقتصادية، وأصولية سياسية، وأصولية فكرية... والأرجح تسميتها ذلك المفهوم الغربي باللا أصولية.

الحركات اللا أصولية والتكفير:

لجأ بعض رجال الدين الخارجين عن الأصل الطاهر (نبي أو رسول) ورسالته السماوية (اللا أصوليين) اليهود التلموديون أو المسيحيون أو المسلمون منهم إلى تفسير بعض النصوص الرسالية من (التوراة أو الإنجيل أو القرآن) تفسيراً شيطانياً مدمراً، سواء أكان ذلك عن جهل أو عن قصد والأرجح أنه كان تفسيراً مقصوداً -مستندين إلى أحاديث وروايات كاذبة أسندوها أو كانت قد أُسندت إلى الرسل والأنبياء.

وكانت الغاية من ذلك تكفير بعض المذاهب أو الفرق الدينية، وبنوا على هذه الأسس الدينية والمفاهيم الباطلة التي أوجدوها فتاوى تكفيرية أباحوا في متن نصوصها (القتل والذبح وانتهاك الأعراض وسلب الأموال) لبعض الفرق الدينية أو لبعض الشعوب، واعتبروا هذا واجباً دينياً وحقاً جهادياً مفروضاً.

وبذلك فرقوا الأمة الواحدة إلى أمم، والطائفة الواحدة إلى فرق ومذاهب، وخلقوا حالة الكره والبغضاء والعداء فيما بينها.

ومن الجدير بالذكر، أنَّ رجال الدين التكفيريين، أوجدوا بيئات دينية أو مذهبية متعصبة، متقوقعة، منعزلة عن الحياة العامة، وزرعوا في عقول أفرادها أنَّ تعليم الأنثى وإرسالها إلى دور التعليم كفرٌ وإثمٌ كبير.

وكذلك عملها خارج المنزل هو كفرٌ وتشبهٌ بالغرب.

وبذا عطّلوا نصف الطاقة الفكرية، ونصف الطاقة الإنتاجية العاملة (أي المرأة) في مجتمعاتهم، كما هي الحال الآن في أفغانستان وغيرها من الدول الإسلامية.

والأغرب من ذلك؛ أنهم حرموها من حقها الشرعي والطبيعي، في اختيار زوجها، أو حتى السماح لها بالحصول على بطاقة شخصية، كوثيقة رسمية تُعرف بها، أسوةً بالحيوانات الشاردة؛ فهي أشبه بالعبد المملوك في زمن العبودية.

كما أفتى هؤلاء اللا أصوليين، الذين يدّعون أنهم أصوليون، لأن العلم المفروض إسلامياً هو تعليم القرآن والسنّة والفقه فقط، وأن باقي العلوم (رياضيات، فيزياء، كيمياء، علوم طبيعية..)، هي علوم خلقها الله للكفّار، وليس للمسلمين.

إضافةً إلى معتقدات فاسدة ومنافية للدين، والعقل والمنطق؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

إن سلام المسلم على غير المسلم، يداً بيدٍ يفسد الوضوء، وأن طعام الأجنبيّ حرامٌ على المسلم.

أليست هذه معتقدات يهودية تلمودية أصلاً؟؟!!

الجواب: بلى.

والسؤال: كيف دخلت هذه المعتقدات اليهودية التلمودية إلى الأدبيّات الإسلامية؟

الجواب: لا شكَّ أنه الخرق اليهودي التلمودي للفكر الإسلامي، وبعض رجال الدين الإسلامي.

وأوجدوا بالتالي الظروف الملائمة للامتداد اليهودي الصهيوني (التلمودي) ولحليفته الإمبريالية العالمية في بقاع الأرض، تارة باسم الدين وتارة باسم الدفاع عن حريات الشعوب والقضاء على ما يرهب الإنسان ويقلقه (الإرهاب).

مفهوم التكفير المعاصر

مع تطور أوجه النشاط البشري وتقدمه التكنولوجي، وُجدت مفاهيم اقتصادية جديدة، تمثلت في التكتلات الاقتصادية الضخمة والسيطرة بإحكام على مقدرات وخيرات الشعوب الضعيفة والتي تجلت في آخر ثوب لها بلفظة (العولمة) وتتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة صهيونية سادية.

وبما أنه لا يمكنها أن تتدخل في حياة الشعوب الضعيفة مباشرة لوجود قوى دولية كبيرة أخرى صاحبة مصالح أيضاً في تلك الدول فقد لجأت إلى مفهوم أكثر عولمة تجلى في اتجاهين:

الأول: باسم الدفاع عن الحريات العامة ومقاومة الأنظمة الديكتاتورية.

الثاني: باسم تأمين وإحلال السلام العالمي، وذلك بمقاومة الإرهاب الدولي ونزع أسلحة الدمار الشامل من بعض الدول وتحديداً الدول الإسلامية والدول المعادية لأمريكا والصهيونية العالمية.

وقد أباح لها هذا من وجهة نظرها احتلال بعض الدول - وذلك بعد تمهيد مسبق لهذا الاحتلال - وخاصة الغنية منها بثرواتها الطبيعية (بترول، ذهب، خامات أخرى) أو التي تحتل موقعاً جغرافياً عالمياً مهماً. وأصدق مثال على ذلك و أحدثه كان احتلال العراق.

خلاصة:

للتكفير مفهومان توأمان أصلهما واحد وغايتهما واحدة..

- *تكفير ديني:* وأصحاب هذا المذهب يقولون:

إنهم هم غاية الحياة ومنتهاها وهم أصحاب مفاتيح الجنة والنار، وينادون بإلغاء الآخر وإباحة قتله وسلب أمواله وانتهاك عرضه.

وهؤلاء أيضاً ينظرون للمرأة على أنها سلعة رخيصة تابعة للرجل وهي مخلوق ضعيف حقير خلقها الله لمتعة الرجل وخدمته للإنجاب فقط، وأنها أشبه بعبد تابع لسيده لا حقوق لها. وقوام حديثهم الكذب.

- *تكفير سياسي:* تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة صهيونية تلمودية وأصحاب هذا المذهب يقولون:

إن العالم قرية صغيرة، ويجب أن تكون مفتوحة على بعضها (العولمة) وأنه يحق للقوي أن يأكل الضعيف ويُحلُّ له قتله وسلب أمواله وتشريده وانتهاك عرضه.

كما أن المرأة لديهم ما هي إلا سلعة رخيصة ومسوّقة للسلع باستخدام جسدها.

كما أباح هؤلاء لأنفسهم باحتلال أية دولة في العالم باسم الدفاع عن حرية شعبها أو باسم القضاء على الإرهاب والديكتاتورية أو باسم اجتثاث أسلحة الدمار الشامل.

وهم يقولون أيضاً :

إن فكرهم هو آخر فكر بشري، وهم النهاية والملجأ ، فمن تبعهم ورضخ لسياساتهم دخل الجنة وعاش بأمن وسلام ورفاهية ، ومن خالفهم كان مصيره جهنم (الاحتلال والتشرد والقتل والذل) وقوام حديثهم الكذب.

وفي المعلن أن جماعة حالة التكفير الأولى (الدينية) هم ضد جماعة حال التكفير الثانية (المعاصر) والعكس صحيح؟! ونظرة تأملية تجدهما في الحقيقة – وعبر التاريخ – لهما نفس الهدف وليس غير الصواب.

إذا قلت أن الذي يسوسهما واحد؟!

إن الهدف المشترك بينهما هو قهر إرادة الإنسان الحرّة، في تشويه طريقه إلى الله، (ربُّ الناس أجمعين ربُّ العالمين.. أم هو ربٌّ فئويٌّ نخبويّ، عنصريّ، عشائريّ، ساديّ)؟!

وبالتالي كلا الجماعتين يعملان على ابتكار الجنة والنار، يوزعانها على البلاد والعباد ما شاءت لهم النزوات والأهواء!!

ومن الجدير بالذكر؛ أن الفيلسوف والمفكر العربي المتميز الدكتور طيب تيزيني ألقى محاضرة في مقر النادي الاجتماعي بدمشق

في الشهر الثالث من عام ٢٠٠٤ بيَّن فيها بدقة أوجه التشابه والتطابق بين مفهومي العولمة والأصولية الدينية.

- قال المفكر العربي اللبناني هنري حاماتي:

(التمييز العنصري الذي يمارسه أصحاب المذاهب الدينية فيما بينهم هو من فعل الاختراق اليهودي لهذه المذاهب)[1].

والأسئلة التي تدور في خلد كل إنسان عاقل في أيامنا كثيرة أبرزها:

- من هو زعيم الإرهاب في العالم في القرن الواحد والعشرين؟!

- هل هو البابا أربان الثاني أم مؤسس الفكر التكفيري في الإسلام وأتباع هذه المدرسة أم شارون أم... أم بوش الثاني أم رئيس المحفل الماسوني العالمي أستاذ هؤلاء جميعاً؟! وسنتعرض لموضوع التكفير السياسي بشكل مفصلٍ في الأبواب اللاحقة.

---

(١) مجلة الهدف – العدد التاسع لعام ١٩٨٨.



الباب الأول

التكفير في الرسالات السماوية

الفصل الأول
التكفير في التوراة

تمهيد:

قبل أن نبدأ في الخوض في نصوص التكفير التوراتي، لابدَّ من استعراض سريعٍ، لأنواع التوراة المعروفة لدينا حتى الآن، لمعرفة ما تضمنته وما تتميَّز به، والملاحظات التي يمكن استنتاجها منها.

والأنواع المعروفة حتى الآن ستة، هي:

١ - التوراة الكنعانية

٢ - التوراة العبرية

٣ - التوراة السامرية

٤ - التوراة اليونانية (السبعينية)

٥ - التوراة الآرامية

٦ - التوراة المصرية (الهيروغلفية).

أولاً: التوراة الكنعانية

ظهرت خلال النصوص المكتشفة في رأس الشمرة باللاذقية الواقعة على الشريط الساحلي السوري، عام ١٩٢٨ من خلال الحفريات التي بدأت عام ١٩٢٤.

جَمَعَ نصوصها الباحث هـ-أ٠ ديل ميديكو الفينيسي الأصل الإسطنبولي التركي المولد.

ترجمها جهاد هواش وعبد الهادي عباس، وصدرت الطبعة الأولى عن دار دمشق عام ١٩٨٨.

- بُدئ بترجمتها في كانون الأول عام ١٩٤٢ وانتهت الترجمة في ١٧ شباط عام ١٩٤٣ وتم تسليم نسخة عن العمل إلى أكاديمية التسجيلات والآداب في روما.

خلاصتها:

هي توراة سكان سورية وفلسطين (توراة سكان أمورة أوبلاد ما بين النهرين)، تضم أربع مجموعات رئيسية.

المجموعة الأولى:

الأساطير: وتتألف من أسطورتين وتراتيل هما:

الأسطورة الأولى:

١ -زواج قمر:

إن قمر (مؤنث وهي نور السماء) بدون الـ التعريف؛ تزوجت من شمس (ذكر) ملك الصيف، وهما ولدا بعل وزوجته أشتارت وعلى أثر خلافهما حول المهر (موهار) أخذت قمر وأقامت عمودين كبيرين على شكل (قضيب) ومارست معهما الدعارة.

أما الآلهة الجديدة فإن إيل تزوج من عشيرات فأنجبا إيلات ومناة

أنواع المهر:

أ - المهر الدائم (موهار):

كان يدفع نهاراً لوالد الفتاة وبموجبه يشتري الخطيب خطيبته بمهر مؤقت (تساديكا)؛ كان يتم تسليمه ليلاً، وتبقى بموجبه الزوجة بمنزل والدها، وتتردد ليلاً على منزل زوجها؛ واعتبر فيما بعد هذا الزواج شكل من أشكال الدعارة... والهبات التي كانت تعطى للزوجة في هذا الزواج المؤقت بمثابة أجور مومس.

٢ -الأسطورة الثانية:

أسطورة كيريت (ملك الصدوقين)؛ولوحة هذه الأسطورة حالياً موجودة في متحف اللوفر في بريطانيا وقد تعرضت للحالة الاجتماعية لأنواع طبقات المجتمع وهي:

- طبقة النبلاء (الحوريم) وكانوا أحفاد مقاتلين قدامى.
- طبقة التجار
- طبقة (السار) المقاتلين
- طبقة الإقطاعيين وصغار الكسبة
- طبقة الرقيق: ولم يكن الرق إلزامياً، وذلك بأن يبيع الشخص نفسه أو ابنه أو ابنته للغير بإرادته خشية الجوع.

وكانوا يقدسون الرقم ٧، وكان لـ (متيراح) سبعة أولاد، ثم ولد له (كيريت)، فكان لابد من التخلص منه بحسب تقاليد تلك المنطقة في ذلك العصر فطرده ومشى في الأرض تائهاً.

وإن الرقم ٣ كان دليل شؤم، لوفاة ثلاثة أولاد لتيراح.

علماً بأن العرب كانوا يقدسون الرقم /٣/ لأن آلهتهم آنذاك كانت ثلاثة (اللاّت والعُزّى ومُناة).

٣ -*التراتيل: (أقاهات):*

وهي مجموعة تراتيل لمن كانوا في حالة حزن

المجموعة الثانية:

القرارات والأوامر:

يوجد منها الآن لوحة واحدة أُشرِتْ بحرفين (S S) وبعض القطع غير المعبِّرة لتلفها.

المجموعة الثالثة:

الوقائع التاريخية: ويمكن تقسيمها إلى:

أ - الوقائع الجارية في عهد الملك عليان. وتضم رواية إيلي ملكو (خمس لوحات) وقصة هبوط الملك الكبير عليان إلى الجحيم.

ب - الوقائع الجارية في عهد(x) الذي لم يعثر على اسمه وهي عبارة عن لوحة جزئية غير كاملة.

ج - وقائع عهد نقمد: وهي أيضاً لوحة جزئية غير كاملة.

المجموعة الرابعة:

المزامير والصلوات: أربع لوحات

تضمنت مظاهر العبادة وهي: (الصلاة)، والشكوى، التمرغ على قدمي الإله، وقد كان الشعب والجيش يشاركان في هذه العبادة التي

تعبر عن شعور الجماعة، وكانت الآلهة الشائع ذكرها آنذاك هي (عشيرات زوجة إيل) التي كانوا يخاطبونها (سيدتي -مليكتي).

خلاصة:

من دراسة التوراة الكنعانية هذه نُلاحظ أنه لم يرد فيها أي نص تضمن تكفير إنسان أو جماعة من الناس، وإباحة القتل وسلب الأموال بسبب الكفر أو التكفير.

ثانيا: التوراة العبرية

بعض التواريخ تقول:

إن الأسفار الخمسة الأولى ومنها أسفار موسى عليه السلام، دُوِّنت حوالي ١٦٠ق.م وبعضهم يقول قبل هذا التاريخ وآخرون يقولون بعد:

أما الأسفار الأخرى المضافة إلى هذه الأسفار الخمسة فهي بالتأكيد دونت أيضاً في مراحل تاريخية مختلفة وعددها أربعة وثلاثون سفراً) إضافياً وهي (يوشع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، الأخبار الأول، الأخبار الثاني، عزرا، نحميا، استير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الإنشاد، ، أشعيا، أرميا، مراثي أرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، (المعزى)، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي) وبذلك يصبح عدد أسفار هذه التوراة /٣٩/سفراً.

طبعة خامسة صادرة عن جمعيات الكتاب المقدس في المشرق بيروت طبعة عام ١٩٨٨ -دار المشرق.

ثالثا: التوراة اليونانية

ظهرت على أثر الخلافات الحادَّة بين العبرانيين والسامريين وفي عهد الملك اليوناني بطليموس الثاني (فيلاد لفيوس) عام ٢٨٢ق.م، ولإنهاء الخلاف ووضع توراة واحدة للطرفين جمع هذا الملك سبعين حبراً من الفريقين، وطلب إليهم تدوين توراة تكون للفئتين، فدُوِّنت وسُميت بالتوراة اليونانية أو (السبعينية).

ويقال:

إن الأحبار اجتمعوا لهذا الغرض في الإسكندرية.

وتضم هذه التوراة أسفار التوراة العبرية نفسها إضافة إلى أسفار (يهوديت، باروك طوبيا، الحكمة.

أما سفر يهوديت: فهو سفر تاريخي،

خلاصته:

إن يهوديت امرأة يهودية تقية فائقة الجمال، استطاعت أن تدخل معسكر العدو وتغري بجسدها القائد (أليقانا) وتمكنت من قتله وهو نائم بعد ليلة حمراء وكان ذلك السبب في هزيمة العدو.

وبذلك خلصت شعبها اليهودي، ويُرجح أن هذا السفر كُتِبَ في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

وأما سفر باروك: فهو سفر تاريخي وقد كان باروك هو (أمين سر) إرميا.

ويتألف هذا السفر من أربعة أقسام وهي مقدمة تاريخية (١/١ - ١٤)، واعتراف بالخطايا وابتهال (١/١٥ -٣/٨).

وتأمل في الحكمة (٩/٣ -٤/٤) وتشجيع لأورشليم (٥/٤ -٩/٥) وتختلف هذه الأقسام الأربعة من حيث اللغة اليونانية المستعملة فيها، كما أنها تختلف من حيث الفن الأدبي والمضمون التعليمي، وهو بمجمله من مؤلفات الشتات اليهودي ويرجح أن القسمين الأولين يعودان لسنة ١٦٤ق.م.

طوبيا: سفر تاريخي يقال إنه منسوج بأسلوب أدبي قصصي.

وخلاصته:

أن طوبيت الأب وابنه طوبيا كانا رجلين صالحين رحلا مع أسرتهما وأسرة يهودية مجاورة كل منها إلى بلد وأن الشيطان قد منع سارة ابنة الأسرة الثانية من الزواج سبع مرات، إلا أن الملائكة ساعدت طوبيا في التخلص من الشيطان والزواج من ساره. بمساعدة الملائكة وينتهي السفر بالشكر لله وبارتقاب الخلاص الآتي ويرجح أنه يعود للقرن الخامس قبل الميلاد.

الحكمة: يُعتقد أنه هذا السفر من وضع أحد اليهود اليونانيين، قبل المسيح عليه السلام بعدة عقود ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ -*المصير البشري عند الله (١ -٥):*

ويبين فيه مصير الأبرار، ومصير الكافرين الذين يضطهدونهم، وغاية هذا القسم تثبيت إيمان اليهود وتبشيرهم بأن الآخرة لهم.

٢ -*الثناء على الحكمة: (١/٦ -٣/١١):*

وُضِعَ هذا الثناء على لسان سليمان الحكيم عليه السلام دون أن يُسمَّى، يتوجه سليمان بن داود إلى سائر الملوك داعياً إياهم إلى الانفتاح على تعاليم بني إسرائيل (ويقصد هنا بالملوك غير اليهود).

٣ -*التأمل في الخروج: (٤/١١ -٢٢/١٩):*

وهو سلسلة مقابلات بين مصير الإسرائيليين ومصير المصريين.

انطلاقاً من رواية ضربات الخروج وما أصاب المصريين من نكبات إلهية (معجزة السلوى وضربة الضفادع والحية النحاسية التي تشفي العبرانيين، والحيوانات القاتلة التي أرسلت على المصريين، المن والبرد، ضربة الظلمة، وعمود النار، موت أبقار مصر، ونجاة الفصح، وأخيراً غرق المصريين في البحر الأحمر ومرور إسرائيل دون أي عائق).

ويقال إن (عزرا) كتب التوراتين (السامرية والعبرية) قبل عام ٥٨٦ ق.م.

وقفة لا بد منها:

بعد موت سليمان بن داود عليه السلام افترق بنو إسرائيل إلى فريقين:

الفرقة الأولى: وتضم سبط يهوذا وسبط بنيامين ونفراً من سبط لاوي.

الفرقة الثانية: وتضم بقية بني إسرائيل.

وكان يطلق على الفرقتين لقب العبرانيين لأنهم، رُحَّلٌ يعبرون من مكان إلى آخر، في سبيل الرزق.

وأرى أن سبب رحيلهم الدائم وتشتتهم، هو طردهم من قبل من يحلون عنده كضيوف، بسبب فتنهم الكثيرة ومحاولاتهم استغلال المضيف، وسرقة أمواله والتعاون مع خصمه سراً.

وكان يطلق عليهم الإسرائيليون لنسبتهم إلى يعقوب (إسرائيل عليه السلام).

الفرقة الأولى:

أقامت في القدس (أورسالم، أورشليم) وسُمِّيت دولتهم بمملكة يهوذا، لأن حكامها كانوا من سبط يهوذا، وسموا أيضاً بمملكة داود، لأنَّ الحكام كانوا من داود وسبط يهوذا، ولها توراة تعرف بالتوراة اليهودية أو العبرية.

الفرقة الثانية:

اتخذت نابلس (شكيم) عاصمة لها وسُمِّي أبناؤها بالسامرين، لأن ملكهم (عمري)، اشترى جبلاً من شامر بوزنتين من الفضة، وبنى على الجبل مدينة وسُمِّيت باسم صاحب الجبل (مدينة شامر وسامر) وبذا سموا السامريين.

وسميت مملكتهم بمملكة إسرائيل نسبة إلى جدهم الأول (يعقوب، إسرائيل)، كما سموا مملكة أفرايم، لأن الحكام كانوا من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام .

وبقيت توراة بني إسرائيل صحيحة إلى السبي البابلي الأول سنة ٥٨٦ ق.م ولا يعترف السامريون بأسفار الأنبياء لقناعتهم أنه لم يقم في إسرائيل نبيٌّ مثل موسى.

وبعد السبي البابلي اتفق الفريقان على إعادة كتابة التوراة وفق ثلاث نقاط:

١ - الله إله واحد ولكن ليس للعالمين بل لبني إسرائيل من دون الناس.

٢ - شريعة التوراة أنزلها الله لبني إسرائيل فقط.

٣ - النبي المنتظر الذي أخبر موسى بمجيئه سوف يأتي ولكن ربما من بني إسرائيل وليس من بني إسماعيل.

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل ومعهم توراة عزرا ، وسكن العبرانيون في مدنهم والسامريون في مدنهم، ظهر بينهم عداء شديد.

نقاط الاتفاق بين التوراتين (العبرية والسامرية):

١ - وحدانية الله وعظمته

٢ - إن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

٣ - إنه سيجازي الناس على أعمالهم.

٤ - أنزل التوراة هدى ونوراً.

٥ - إنه سيرسل نبياً مثل موسى عليه السلام .

نقاط الاختلاف:

١ - التوراة السامرية خمسة أسفار فقط:

(التكوين، الخروج، العدد ، اللاويون، التثنية) وتسمى أسفار موسى عليه السلام .

-التوراة العبرية:

هي التوراة السامرية بأسفارها الخمسة مضافاً إليها _٣٤ سفراً) لتصبح ٣٩ سفراً.

٢ - النص على يوم القيامة:

العبرانيون لم يصرحوا به في توراة موسى، وإنما صرحوا به في أسفار الأنبياء، والإسرائيليون صرحوا به.

٣ - القِبْلَة:

جبل جرزيم يقدسه السامريون ويتقبلونه في صلاتهم، العبرانيون يقدسون بيت المقدس، وهو قِبلتهم في الصلاة.

٤ - السامريون يقولون:

إن ظهور المسيح المنتظر سيكون من آل يوسف عليه السلام .

والعبرانيون يقولون

إنه سيظهر من آل داود ، ويعود الاضطهاد والتشرد يجمع اليهود بفرقة ثانية.

التوراة والتكفير

تضمنت بعض أسفار التوراة نصوصاً عدة، تقول بتفضيل اليهود تارة وبتفضيل بني إسرائيل (يعقوب) تارة أخرى، على شعوب الأرض كافة وبعض هذه النصوص وصف غير اليهود بأنهم أجانب أنجاس ولا يجوز إطعامهم من لحوم النذور المقدسة للرب الإله.

ونقتصر على نصَّين فقط من مجمل هذه النصوص منعاً للإطالة المملة.

نص التفضيل: (شعب الله المختار)

الرب يكلم سيدنا يعقوب (إسرائيل) (عليه السلام): في التوراة السامرية:

«وَلَكِنَّ لآبائك هوى الله محبة لهم فاختار نسلهم من بعدهم الذي هو أنتم فوق كل الشعوب كاليوم هذا» (تثنية ١٠/١٥).

في التوراة العبرية:

«ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم» (تثنية ١٠/١٥).

في التوراة اليونانية (السبعينية):

«لكنه تعلق بآبائك محباً إياهم واختار نسلهم من بعدهم أي أنتم من بين الشعوب كلها إلى مثل هذا اليوم» (تثنية ١٠/١٥).

بيان بعض المفردات:

فوق: مصدر نقيض تحت، وهو في الأصل ظرف مكان نحو صعدت فوق الجبل، وقد يستعمل للزمان نحو لبثنا فوق الشهر؛ أي زماناً أكثر من شهر.

وقد يستعار للاستعلاء الحكمي ومعناه الزيادة والفضل فيقال العشرة فوق التسعة وللاستعلاء المعنوي.

مثل قوله تعالى:

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية ٧٦]

وكقول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة الحمداني:

أنت يافوقَ أن تُعزَّى عن الأحـ

ـبابِ فوقَ الذي يُعَزِّيك عقلا

والفوق أيضاً الطريق الأول. (محيط المحيط ص٧٠٦)

اختار: بمعنى انتقى واصطفى وخيار الشيء أفضله (محيط المحيط ص ٢٦٢)

كيف فسَّرَ اليهود النص؟

قالوا باختصار شديد: إنهم خير شعوب الأرض قاطبة وإن الخالق العظيم قد اختارهم ليكونوا شعبه المختار الحبيب، وإنه ليس للإله شعب على وجه الأرض غيرهم، وإن الله خلقهم برغبة وحميمية لا توصف، ولولاهم لما خلق السموات والأرض، ولا حتى كان من معنى لوجوده سبحانه تعالى.

وإن بقية الشعوب هم بالأصل حيوانات، ولكن الله خلقهم بصورة بشر فقط، ليخدموا اليهود.

هذا التفسير أوجزناه من بعض أدبيات اليهود، وخاصة التلمود وسنرد على ذلك مفصلاً في موضعه.

رأينا في تفسير النص وتأويله

كانت إرادة العلي الأعلى أن اختار سيدنا إبراهيم عليه السلام خليله وأبو الأنبياء والعربي ابن العربي، ليكون هو ونسله من الأنبياء والرسل المصطفين والتابعين الصالحين خير البرية أجمعين إلى يوم القيامة والذين هم:

- سيدنا إسحاق وسيدنا إسماعيل عليه السلام، ومن نسله سيدنا محمد (عليهم سلام الله).

- سيدنا يعقوب (إسرائيل) وأبناؤه الأحد عشر (يوسف الطاهر الحسن، بنيامين الأمين، شمعون، لاوي، رأوبين، يهوذا، زبلون، دانا، أشير...).

ومن نسلهم سيدنا موسى وداود وسليمان وعيسى (عليهم سلام الله) عن طريق أمه مريم عليها السلام لأن أباه، آبُ السموات والأرض جميعاً بلا تمييز.

- التابعون الصالحون المؤمنون العاملون بما أمر الله، التاركون لما يغضب الله.

هؤلاء هم المقصودون بكلمتي (فوق) و (اختار) وهم المقصودون بالآية القرآنية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾؛ أمة إبراهيم الخليل وأحفاده من الأنبياء والرسل والتابعين الصادقين، وليس المقصود كل اليهود بمن فيهم الكافرون قتلة الأنبياء والمرسلين؛ واليهود التلموديون وليس المقصود كل العرب بمن فيهم الوثنيون الكفرة الذين قاتلوا الرسول (ص) واضطهدوه وحاولوا قتله والذين انقلبوا على أعقابهم وعادوا إلى جاهليتهم بعد وفاة الرسول(ص) بدون استثناء وإلا لكان قد تساوى المؤمن والكافر، الطاهر، والرجس، ولانتفت بالتالي العدالة الإلهية.

إن أسفار التوراة مليئة بنصوص تشير إلى أعمالهم الشريرة من زنى ودعارة وسلب وعبادة الأوثان قبل وفاة سيدنا موسى عليه السلام وبعده، ولا داعي لذكرها.

وهؤلاء الحثالة من اليهود التلموديين هم الذين قال فيهم سيدنا المسيح عليه السلام :

«يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار» (متى ١٢/٣٢).

:«يا أروشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين..» (لوقا ١٣/٣٤).

وهم من قال فيهم العلي الأعلى في القرآن الكريم:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة ٨٢].

هل هؤلاء الأشرار هم المقصودون بـ (فوق) و(اختار)؟! إلاّ إذا كان هناك إله أشرار وهو من قال ذلك عنهم.

شعب الله المختار:

نرى أن هذا الشعب يتمثل في المؤمنين الموحدين العاملين بشرع الله التاركين لما يغضب الله.

وهم قلة وموجودون في كل زمان ومكان، وفي كل طائفة أو ملة أو مذهب.

منهم الإسرائيلي ومنهم المسيحي ومنهم المسلم ومنهم الصابئ إلى الله ومنهم من غير هؤلاء.

منهم العربي ومنهم الصيني أو الهندي أو الأوروبي أو الأمريكي ومنهم الأسترالي ومنهم الإفريقي...إلخ.

ولا توجد طائفة أو ملة أو أية مجموعة بشرية كلها مؤمنون أو كلها كفار، بل الصحيح أن منهم المؤمن ومنهم الكافر والفرقة المؤمنة هي الفرقة الناجية من كل هؤلاء يوم القيامة.

النص الثاني: اليهود مقدسون وغيرهم نجس.

«وأما كبش الملء، فتأخذه وتطبخ لحمه في مكان مقدس، فيأكل هرون وبنوه لحم الكبش والخبز الذي في السلة عند باب خيمة الاجتماع..

أما الأجنبي فلا يأكل لأنها مقدسة، وإن بقي شيء من لحم الملء أو من الخبز حتى الصباح يحرق الباقي في النار. ولا يؤكل لأنه مقدس»!! (العبرية خروج ٢٩/٣١ -٣٣ -السامرية خروج ٢٩/٣١ -٣٤ اليونانية خروج ٢٩/٣١ -٣٣).

- المقصود بكلمة (أجنبي) هو كل من ليس يهودياً
- المقدس في هذا النص هم اليهود -من قدسهم؟!
- غير المقدس! هم غير اليهود عموماً.

التفسير اليهودي لهذا النص:

ورد تفسير هذا النص في التلمود ومفاده: أن اليهود مقدسون لأنهم بشر وشعب الله المختار.

أما غير اليهود، فهم بالحقيقة حيوانات، ولكن الله خلقهم بصورة بشر ليستأنس بهم اليهود وليخدموهم ويكونوا عبيداً أذلاء عندهم.

نداء إليك أخي الإنسان في كل زمان وفي كل مكان:

- هل يقبل عقل أو منطق هذا التفسير الدنيء؟
- غالبية عظماء العالم ورجال الفكر والإبداع والفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين ليسوا يهوداً.

ولو كانوا بالأصل حيوانات لما كرمهم الله بالعقل النير المبدع

الراقي؛ ولم نسمع في كل روايات التاريخ أن حيواناً نطق أو فكّر أو أبدع، على سبيل الحقيقة، لا المجاز.

- الأنبياء والرسل جميعاً من غير اليهود وبالتالي حسب المفهوم اليهودي التلمودي، فإنهم ليسوا بشراً، بل هم دون البشر.

ما هذا الإله الذي يبدع أعظم مخلوقاته من مخلوقات دونية (استغفر الله)؟!

الفصل الثاني
التكفير في التلمود

تعريف التلمود:

هو تعليم ديانة اليهود الخارجين على سيدنا موسى(عليه السلام) ورسالته التوراة ويتألف من:

المتن: ويسمى (المشناة) بمعنى المعرفة أو الشريعة المكررة.

الشرح: ويسمى (جمارا) ومعناه الإكمال.

يقول الحاخام (لوفيريم): التوراة أشبه بالماء والمشناة أشبه بالنبيذ والجمارا أشبه بالنبيذ العطري، والإنسان لا يستغني عن الكتب الثلاثة.

وقال حاخام سنة (١٥٠٠م): (من يقرأ التوراة دون المشناة والجمارا فليس له إله)[١].

كلامهم عن أنفسهم:

١ - أرواح اليهود جزء من الله وهم عند الله أرفع من الملائكة، ومن ضرب يهودياً فكأنما ضرب العزة الإلهية.

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤٧-٤٩ و ٦٨

٢ - إن الله سلطهم على أموال غير اليهود لأن الله خلق كل شيء لأجلهم.

٣ - الناس جميعاً خُلِقُوا لأجلهم ولخدمتهم.

٤ - إذا عجز اليهوديّ عن مقاومة الشهوات فله أن يسلم نفسه لها.

٥ - الجنة لا يدخلها إلا اليهود النصوص /٧٢ -٧٤/منه.

موقفهم من غيرهم:

- أرواح غير اليهود شيطانية، وهي أشبه بأرواح الحيوانات.

وقد خُلِقُوا على شكل الإنسان حتى يكونوا لائقين لخدمة اليهود.

- لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي ولا أن يرحمه، ولا أن يعينه، بل إن وجده واقعاً في حفرة عليه أن يسدها عليه.

- يحرم على اليهودي أن يرد لغير اليهودي ما فقد منه.

- الزنى بغير اليهود ذكوراً و إناثاً جائز لا عقاب عليه.

- على اليهودي أن يسعى لقتل الصالحين من غير اليهود، (فإذا استحال عليه قتله فيسعى لعزلهم وتشويههم والتعتيم عليهم..).

- الجحيم مأوى جميع الناس غير اليهود. (النصوص /٢٧١ - ٢٧٥ /منه).

والأسئلة التي تطرح نفسها:

هل يوجد فكر عالمي أسوأ من هذا الفكر؟

- أليست هذه النصوص التكفيرية ضد الإنسانية جمعاء؟

- هل تصدر هذه النصوص التكفيرية إلا عن أناس هم شر خلق الله وشر البرية أجمعين؟

سؤال إلى أخي الإنسان في الأمريكتين و وأوروبا وفي استراليا وفي بقية أصقاع الأرض.

أنتم تعرفون حقيقة اليهود الصهاينة وتعرفون توراتهم وتلمودهم ونصوصه المعادية لكم ولأطفالكم.

فلماذا تدعمونهم وتناصرونهم في تنفيذ مخططاتهم العدوانية الشريرة في فلسطين وفي غيرها من بقاع الأرض؟!

الفصل الثالث
التكفير في أدبيات اليهود الصهاينة

في بروتوكولات حكماء صهيون:

- البروتوكول كلمة إنكليزية تعني محضر مؤتمر، مسودة أصلية -ملحق معاهدة، وهي جملة محاضرات ألقاها الزعيم الصهيوني العالمي «هرتزل» في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وكان قد حضر هذا المؤتمر نحو ثلاثمائة من أعتى الصهاينة يمثلون خمسين جمعية سرية يهودية.

- اكتشفت هذه الوثائق عام ١٩٠١ وفي عام ١٩٥١ ترجمها إلى العربية الأستاذ محمد خليفة التونسي، فأسدى للبشرية جميلاً عظيماً، لأنه كشف حقيقة التآمر المتمثل في هؤلاء اليهود الصهاينة.

وأهم أفكارها:

١ - سعي اليهود الصهاينة لهدم حكومات العالم في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومات ملكية استبدادية يهودية، معتمدين على الفساد الخلقي. ومستخدمين المال والنساء والمناصب والمكائد لتحقيق ذلك.

٢ - زرع بذور الشغب والخلاف والفتنة في كل الدول عن طريق الماسونية والأندية التابعة لها.

٣ - إن حكومات العالم الحالية فاسدة، فيجب زيادة فسادها، إلى حين قيام المملكة اليهودية على العالم، ويكون مقرها في أورشليم، ثم تنتقل إلى روما وتستقر فيها إلى الأبد.

٤ - وضع كافة وسائل الصحافة والإعلام من مسارح ومعارض ودور سينما ودور نشر، والمناهج التعليمية في المدارس والجامعات تحت سيطرتهم ليتمكنوا من نشر تعاليمهم وأفكارهم؛ (بما في ذلك شواخص الأدب والفكر باسم الحداثة البرَّاقة)!!.

٥ - التحكم بالذهب واكتنازه لإفساد الشُّبان والشابات والقضاة والحكام، حتى يضعف غير اليهود ويقذفوا بأنفسهم تحت أقدام اليهود.

٦ - وضع أساس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يمتلكه اليهود ولا على أساس قوة العمل والإنتاج، والثروات الأخرى، بما في ذلك إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية.

٧ - الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها[1].

الماسونية (ومنذ هيرودس):

هي تنظيم يهودي صهيوني عالمي سري، الغاية منه تمكن اليهود والصهانية من السيطرة على العالم واستغلال خيراته، وتسخير غير اليهود لخدمتهم، ساعين إلى تحقيق أهدافهم اللا إنسانية اللا أخلاقية

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٣١-٥٠

عن طريق القتل والغدر والتجسس والتفرقة والاستغلال والاستعلاء والتمييز العنصري معتمدين في ذلك على المال والنساء والسلطة.

- أليست هذه البروتوكولات منشورة بكل لغات العالم وبمعرفة وإطلاع قادة العالم وفعالياته الاقتصادية والفكرية والسياسية؟

- لماذا هم ساكتون عن الخطر العالمي اليهودي الصهيوني المحدق؟!

- أين الشعب اليوناني العريق وحضارته المتميزة عالمياً؟

- أين الشعب الصيني العريق وحضارته الضاربة في القدم التاريخي؟

- أين الشعوب الأوروبية المتحضرة الراقية؟

- أين رجالات الدين المسيحي والإسلامي وكنائسهم ومساجدهم في العالم ونضالاتهم ضد هذا الخطر القاتل للإنسان وإنسانيته الجميلة؟!

- أين رواد الفكر الحرّ وأنصار الحرية في العالم من هذا الفكر الذي يهدم كل شيء؟!

- ألا تعلم أمريكا وبريطانيا أن اليهود الصهاينة سيدمرون بالنهاية حضارتهما ويقتلون شعوبهما؟!!!

الشعبان الأمريكي والبريطاني يبحثان عن عالم أكثر حضارة ورقياً وإنسانية وقادتهما السياسيون يفعلون العكس.

- هل تريد أمريكا وبريطانيا إخلاء العالم من أسلحة الدمار الشامل والحفاظ على الترسانة النووية اليهودية الصهيونية في فلسطين؟

فإن الذئب لن يوفر أخيراً حتى مرضعته الإنسانية!! ومهما تكن الأسباب.

وأخيراً:

أليست الغاية أن يتمكن اليهود الصهاينة من تحقيق أفكارهم التلمودية الشريرة ومقررات بروتوكولات حكمائهم الأشرار المعادية للبشر كافة؟

لماذا لم تُشَكل حتى الآن جمعيات وأحزاب شعبية في كل بقاع الأرض لتضع برامج عمل جادة ولقاءات شعبية منظمة لفضح الفكر اليهودي الصهيوني التلمودي والدعوة إلى التحرير والسلام الإنساني؟

استفق يا أخي الإنسان المتحضر في هاتين الدولتين وفي غيرهما، وتعالى لنتعاون جميعاً ضد هذه الحكومات الصهيونية التلمودية ونبني مجتمعاً إنسانياً تسوده المحبة والتآخي والسلام البشري!

الباب الثاني
التكفير في الرسالة المسيحية



الفصل الأول
التكفير في (الإنجيل)

تمهيد:

أولاً: بكل الاحترام والإجلال

بكل صدق وأمانة تاريخية

نقول بجرأة وبصوت عالٍ:

(لا يوجد نص تكفيري واحد في كافة نصوص إصحاحات الإنجيل)

فقد جاء سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام (مسيح الله) برسالة سماوية تدعو إلى عبادة الآب (الله) الأحد ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، بصرف النظر عن هويته وجنسيته، وإلى تنقية الروح الإنسانية من شوائب الكدر الروحي (أنانية، كره، بغض، بخل، نميمة، حقد، اعتداء، كذب، قتل، سلب، استغلال، زنى، فحش، كره، ميسر، أنانية، استعلاء، استكبار)، داعياً إلى التسامح و المحبة والتآخي بما يحقق السلام الكوني، محذراً الأشرار من عقاب الإله الحي الدائم، ومبشراً بطوبياته الملكوتية الأرواح المؤمنة الوديعة المسالمة المحبة الصابرة.

«وأما أنا فأقول لكم لا تقاموا الشر من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ومن سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (متى ٣٩/٥ -٤٣).

«يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس فقال له يسوع: ((تُحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» متى ٣٦/٢٢ -٤٠.

: «لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (متى ٥٠/١٢ مرقس ٣٥/٤).

: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات طوبى للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون.

طوبى للرحماء. لأنهم يرحمون. طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله.

طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون. طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات.

طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلَّ كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذي قبلكم أنتم ملح الأرض». (متى ٣/٥ -١٣).

ثانياً - وقفة:

نلاحظ أن سيدنا المسيح (عليه السلام) ختم هذه الطوبيات بقوله الكريم إن الإله وحده صاحب الأمر في الثواب والعقاب.

ومؤكداً في قوله الكريم:

«من آمن بي ولو مات فسيحيا» يوحنا ١١/٢٥.

بمعنى من آمن بمشيئة الله وعمل بشرعه بصدق وإيمان وإقرار فسيدخل الجنة خالداً فيها لأن الخالق العظيم بشر المؤمنين بالخلود.

ومؤكداً أيضاً أن المؤمنين العارفين بالله هم الأحياء وأن الذين لا يعرفون الله ولا يعملون بناموسه هم الأموات الحقيقيون بدلالة قوله عليه السلام : وقال له آخر من تلاميذه أئذن لي أن أَمْضِيَ أولاً وأدفن أبي.

فقال له يسوع عليه السلام :

«اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم» متى ٢١/٨ -٢٢.

لم يكفر أحداً ولم يقل بإباحة قتل غير المسيحي ولا حتى بإيذائه ولا سلبه أو التعرض لعرضه وشرفه. بل حذر من الابتعاد عن معرفة الله والعمل بشرعه وأن الآب (الإله الحق) هو وحده صاحب الثواب والعقاب ولم يقل بأن تلاميذه الأثني عشر ولا غيرهم من التابعين من رجالات الدين لهم الحق إطلاقاً في تكفير الناس وقتالهم كي يؤمنوا بحد السيف أو في منحهم صَكوك الغفران أو ما شابه ذلك؛ لأن الثواب والعقاب من أمر الله وحده ولم يفوض أحداً في السموات ولا في الأرض من مخلوقاته جميعاً بهذا الأمر على الإطلاق.

ثالثاً - الدين والدولة:

١ - لقد فصل مسيح المحبة والسلام الكوني عليه السلام بين الدين كمعتقد وصلة وصل بين الإنسان وخالقه وبين التعامل الدنيوي القائم بين المجموعات البشرية كأفراد أو كدول أو كتنظيمات دولية بل ترك أمر البشر للبشر ينظمون أمور حياتهم بما يتلاءم ومصالحهم ووجودهم وفق القاعدة الشرعية العامة (الحلال والحرام)، الحلال ما حلله الله والحرام ما حرمه الله وإن الدين (الناموس الإلهي)؛ هو القواعد العامة المتجلية في الوصايا العشر، وخلاصتها عبادة الله ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان مثل حبه لنفسه، والعمل بشرعة الخالق الحكيم، والابتعاد عن كل ما يبغض الله. لأنه وحده سبحانه تعالى صاحب الأمر في العلاقة بينه وبين عباده. وإن ربط الدين بالدنيا حالة مستحيلة وذلك عملاً بقوله عليه السلام:

«أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (٢٢/٢١).

وعملاً بقوله عليه السلام:

«لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ..» (متى ٦/٢٤).

«لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (متى ٦/٢٤).

٢ -مما سبق يتبين أن المسيح عليه السلام نظر إلى الشريعة – أو إلى نظام تشريعيّ – بمنظار الحبّ، فهو جوابه عن أية وصيةٍ هي العظمى في الناموس، فأجاب:

«تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك».

والثانية: «تحب قريبك كنفسك»، ذلك كما هو مفهوم القريب عند الإمام علي عليه السلام :

الناس صنفان: إما أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق.

رابعاً: مذهب المسيح عليه السلام :

لم يكن سيدنا المسيح عليه السلام كاثوليكياً ولا أرثوذوكسياً ولا بروتستانتياً ولا مورانياً ولا... بل كان نبيَّ الآب (الله) ورسوله وصاحب رسالته البشارة (الإنجيل) إلى البشر كافة، ولم يكن له تلميذ صاحب أملاك وأطيان وسلطات دنيوية وصاحب صولجان وجيوش وحراب.

ولم يكن إقطاعياً مثل الباباوات والأساقفة في القرون الوسطى ولم يقل بالدعوات التكفيرية وشن الحروب المدمرة الظالمة كما قال البابا أربان الثاني ١٠٩٥م وما بعده.

الفصل الثاني
التكفير في الأدبيات المسيحية

إن أول ظهور لبذور الأفكار التكفيرية -في الحقيقة - ولد بعد غياب سيدنا المسيح عليه السلام وارتقائه إلى الآب العلي.

كان ذلك من خلال المجامع المسيحية التي عُقِدتْ آنذاك ولإعطاء الموضوع حقه لابد من التعريف الموجز لمفهوم المجامع ونوعيها :

المجامع المسيحية:

هي هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية وأموال الكنيسة.

نوعاها :

١ - *مجامع محلية :* تبحث بالشؤون المحلية للكنائس التي تتعقد فيها.

٢ - *مجامع عالمية :* تبحث بالعقائد المسيحية وكل ما يخالفها.

ويمكن اعتبار أول المجامع المسيحية الذي عقد أيام الحواريين تلاميذ المسيح عليه السلام ، وكان موضوعه إلزام غير اليهود بالشريعة

المسيحية أم لا تقرر فيه أنهم غير ملزمين بالختان، مقابل الامتناع عن الذبح للأصنام والزنى وأكل المخنوق والدم. أعمال الرسل إصحاح ١٥.

وأهم هذه المجامع الكونية (العالمية):

١ - مجمع نيقية ٣٢٥م:

عُقِدَ أيام الإمبراطور قسطنطين وسبب انعقاده هو الخلاف حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

أ - كنيسة الإسكندرية: أسقفها الكسندروس قال: (بألوهية المسيح) على مذهب بولس الرسول.

ب - الأسقف الليبي (آريوس): قال بعدم ألوهية المسيح وبأنه ليس ابن الله، وبأن مشيئة الباري اختارته ليكون نبياً ورسولاً وبأن الله واحد غير مولود أزلي.

وقد انتشرت مقولات متناقضة أخرى هنا وهناك، منها:

- المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية.

- المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار لم تنقص الأولى بانفصال الثانية. وهي مقالة (سابيليوس).

-لم تحبَل به في بطنها تسعة أشهر وإنما مرَّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب.

- إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأمه مريم، وإن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس. مقالة (بولس الشمشاطي) بطريرك إنطاكية.

- إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما (مقالة حرقيون وأصحابه).

جاءت قرارات مجمع نيقية بما يلي:

بألوهية المسيح وبأنه ابن الله، أي من ذات الله، وأنه مولود منه غير مخلوق ومساوٍ لله. تجسد بصورة بشر لخلاص الناس، ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت.

- لُعِنَ آريوس وأتباعه، وتم حرق كتبه (كانت هذه الواقعة أول ظهور لفكرة التكفير الكنسي).

وعلى أثر هذه الخلافات تراجع الإمبراطور قسطنطين عن هذه القرارات وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م وقرر فيه إعادة آريوس للكنيسة وخلع (أثنا سيوس) أسقف الإسكندرية وتم تعميد الإمبراطور بناء على طلبه وهو على فراش الموت على طريقة آريوس.

٢ - مجمع القسطنطينية ٣٨١م:

قرر الإمبراطور (ثيودسيوس) عقد المجمع لمواجهة الدعوات التي كانت منتشرة بين الكنائس.

وكان أهم قراراته: ألوهية الروح القدس، فاكتمل بذلك الثالثوت: الآب والابن والروح القدس.

٣ - مجمع أفسس ٤٣١م:

انعقد لمواجهة قول (نسطور) بأن للمسيح طبيعتين: إلهية وبشرية إنسانية وبأن مريم الإنسان ليست والدة الإله.

وكان أهم قراراته: إن المسيح إله واحد ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد وإن مريم أم الإله.

٤ - مجمع خلقيدونية ٤٥١م:

عقد على أثر الخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام ؛ وأهم قرارته للمسيح عليه السلام طبيعتان إلهية وبشرية بلا تحول ولا انقسام ولا انفصال وكان المناصرون هم الأساقفة الغربيون أما الأساقفة الشرقيون فقالوا بالطبيعة الواحدة.

٥ - المجمع الثامن ٨٦٩م:

انعقد بسبب الخلاف بين كنيستي القسطنطنية وروما حول مفهوم الروح القدس وكانت الكنيسة القسطنطينية تقول: بأن الروح القدس انبثق من الآب فقط.

أما كنيسة روما (الغربية) تقول:

إن الروح القدس انبثق من الآب والابن فقط.

وبذلك انقسمت الكنيسة إلى كنيستين:

-شرقية:

ويتزعمها (بطريرك) القسطنطينية، وهم الأرثوذوكس ومن تبعهم من الأقباط والأرمن وغيرهم.

-غربية:

ويتزعمها (البابا) في روما، وهم الكاثوليك ومن تبعهم من البروتستانت والموارنة وغيرهم.

المجمع الثاني عشر ١٢١٥م:

تقرر فيه أن العشاء الرباني يتحول إلى دم وجسد المسيح، وأن البابوية الكاثوليكية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء.

مجمع روما ١٧٦٩م:

تقرر فيه عصمة البابا في روما[1]، من خلال ما تيسَّر لنا الإطلاع عليه من كتب التاريخ الكنسي، نجد أنه حتى تاريخ المجمع الكوني (العالمي) الثامن من سنة ٨٦٩م ورغم انقسام الكنيسة إلى كنيستين، إلا أنه لم تُقْدِمْ إحدى الكنيستين على تكفير الأخرى أو محاربتها، رغم اتفاقهما على أن الثالوث القدس (الآب والابن والروح القدس) إله واحد، ورغم اختلافها في مفهوم طبيعية سيدنا المسيح عليه السلام، وحول فكرة من اين انبثق الروح القدس.

وقد بقي الخلاف محصوراً ضمن جدران الكنيسة ولم يخرج إلى ساحة التكفير والاقتتال بمعنى أنه بقي تكفير في الصدور.

(١) دراسات في الأديان اليهودية النصرانية د. سعود الخلف ص٩٠ وما بعدها.

الفصل الثالث
الحروب الصليبية مولد التكفير

تعريفها: لم أقرأ لها تعريفاً ولكن يمكن أن نعرفها كالتالي:

هي حروب قامت بها بعض الشعوب الأوروبية الغربية ضد سكان المنطقة العربية، وتركزت في آسيا العربية ما بين أواخر عام ١٠٩٦ - ١٢٩١ متذرعة بأسباب دينية بقصد تحرير الكنيسة الكاثوليكية في أسبانيا وتحرير القدس من العرب المسلمين المتوحشين حسب زعمهم، إلا أن غايتها الباطنية كانت اقتصادية. وتزعمها (فريدرك بربروسا) ملك ألمانيا وريتشارد الملقب بقلب الأسد)) ملك بريطانيا و(فيليب أوغسطا) ملك فرنسا.

أسبابها: لسهولة فهمها من قبل القارئ رأينا تقسيمها لثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: أسباب إيديولوجية عقائدية.

وتتلخص في:

١ -حلول الألفية الثانية، وهذا يعني عودة السيد المسيح ثانية، وقيام الساعة.

مما ترك في أذهان العامة غير المثقفة فكرة الخلاص الديني والدنيوي ويعود هذا الاعتقاد إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي، كما ورد في الإصحاح العشرين.

«ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأُعطُوا حُكماً، ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السِمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة.

وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة». (رؤيا يوحنا ٢٠/٤ -٦).

وأضحى هذا الشعور العام مسيطراً على الشعوب الغربية. وأن الخلاص قد قرب وقته مع حلول الألفية الثانية.

واستطاع رجالات الدين لدى الكنيسة الغربية تثبت هذا الاعتقاد في نفوس الناس. مما دفع بالمسيحيين الغربيين المسارعة إلى الحج لبيت المقدس وخاصة من هم من طبقة الفقراء والمعذبين والفلاحين المضطهدين أملاً في الخلاص الدنيوي والآخروي.

وهذا الهاجس المخيف لم يكن يغادر أذهانهم ليل نهار حتى شاعت الأقاويل والأحلام والشعوذات.

بعض من هذه الأحلام والأوهام:

إن الراهب الفرنسي (رالن جلابير) فسَّر ثورة بركان فيزوف في إيطاليا بأنها كانت (نذيراً باقتراب القيامة وبأن زمن الهلاك وشيك يتهدد أرواح البشر).

كما تحدث عن مجاعة رهيبة استمرت خمس سنوات في العالم الروماني حتى كان البشر يأكلون الحيوانات والزواحف القذرة كما أكلوا لحوم البشر.

وفي غربي أوروبا تداول الناس كثيراً من القصص والحكايات المشابهة وفسروها التفسير نفسه حيث كان الفكر الغربي آنذاك مثقلاً بالعناصر الغيبية لوكانت العقيدة الكاثوليكية عشية الحروب الصليبية بعيدة عن تحديد إطارها بشكل متكامل ولم يكن القساوسة والأساقفة غالباً يصلحون لوظائفهم سواء من حيث مستواهم الفكري أو من حيث سلوكهم وأخلاقهم، وقد قتل معظمهم نتيجة تدني مستواهم الروحي والأخلاقي والفكري[1].

وخلاصة القول:

إن الشعوب الأوروبية الغربية بما فيها الشعوب الأمريكية كانت مهيأة لفكرة عودة المسيح المخلص عليه السلام بعد الألفية الأولى عملاً برؤيا يوحنا اللاهوتي وبتأثير رجالات الكنيسة الكاثوليكية الغربية

---

(١)- الحروب الصليبية ص ١٦ وما بعدها. مات البابا يوحنا الثاني عشر ٩٦٤م بسبب إفراطه الجنسي أثناء نومه مع إحدى عشيقاته- اغتيل يوحنا الثامن- زج بالبابا ستفين السادس بالسجن ٨٩٧ م حتى حتفه - مات البابا بندكت السادس ٩٧٤ خنقاً- قتل يوحنا الرابع عشر ٩٨٤ في كنيسة سان أنجيلو.

وتعبئتهم الناس فكرياً وروحياً وإقناعهم بضرورة الحج إلى القدس أرض المعجزات الإلهية أفواجاً وتحرير القدس من العرب المسلمين المتوحشين بقصد لقاء المخلّص عليه السلام وتمهيد الطريق أمامه لغاية الخلاص الدنيوي والأخروي، بمعنى العمل لحياة جديدة يكرس فيها الإنسان نفسه لخدمة الرب وبذا يتخلص من الذنوب والخطايا.

وقد سُمّي هذا الحج بالحج التكفيري الذي يمحو ذنوب الحاج فيعود كمن ولدته أمه، وهو أشبه بالحج التكفيري بالمفهوم العام لدى المسلمين عندما يحجون إلى مكة المكرمة بموعد الحج المحدد سنوياً.

المجموعة الثانية: أسباب اقتصادية

وتتلخص في:

١ - أن الفقر المدقع والبؤس الأسود كانا يعمّان أوروبا في ذلك الحين، وخاصة جنوبي فرنسا وشمالي ألمانيا، حيث كان الإنسان هناك لا يجد قوت يومه إضافة إلى ما تخلفه حالة العوز هذه من حرمان وتشرد وجهل وقهر.

٢ - أن النظام الإقطاعي هو النظام الاقتصادي الذي كان سائداً آنذاك، وقد تجلى هذا النظام في أبشع صوره في أوروبا الغربية، من استغلال وحرمان ورق.

وخاصة أن الإقطاعيين كانوا ثلاث طبقات متناحرة، وكل منها تسعى إلى توسيع دائرة سيطرتها على مساحة أوسع من الأرض وعلى أكبر عدد من الفلاحين لكونهم قوة عاملة لقاء قوتها اليومي، إضافة

إلى المعاملة القاسية والخارجة عن دائرة التعامل الإنساني اللا أخلاقي التي كان يعيشها الفلاح يومياً.

وكان المثل الشائع هناك (لا أرض بدون سيد إقطاعي).

وتمثلت الفئات الإقطاعية المتناحرة في:

أ - رجالات الدين الكنسي:

البابا، الأساقفة، وكل هؤلاء كانوا جميعاً يستغلون جهد الفلاحين بحجة أن العمل لديهم هو عمل مقدس لدى الكنيسة وأجورهم هي المغفرة والتقرب إلى الله.

ب - طبقة النبلاء والفرسان والدوقات:

أما هؤلاء فكانوا يعتبرون ما دونهم عبيداً أرقاء، ومن واجبهم خدمة أسيادهم، مستخدمين السياط والسجن لمن يخالف.

ج - الملك وحاشيته:

أما هؤلاء فخدمتهم واجبة ومقدسة، حفاظاً على كرسي العرش وهيبة المِلك حامي البلاد والعباد. وقد وصل التناحر بين هذه الفئات الثلاث إلى ذورته قُبَيلَ الحروب الصليبية.

ونجد في كتب التاريخ نصوصاً كثيرة تفيد أن الخلافات والمؤامرات بين هذه الفئات الإقطاعية الثلاث وصلت إلى ذروتها، ولم يعد للملك سلطان على الكنيسة و لا حتى على النبلاء والدوقات والفرسان، وأن العامل الاقتصادي كان محور هذا الصراع المخيف بينهم، وليس للرب ولا للكنيسة محل في هذا الصراع، ولا يوجد من هو مدافع عن تعاليم الرب وإنجيله.

رأي الماركسية:

كان كارل ماركس وأنجلس ولينين يرون أن الحملات الصليبية كانت مشروعات استعمارية استيطانية تهدف إلى استعباد الشعوب تحت راية الصليب وقد جسد لينين هذه النظرية، حيث اعتبر الإجراءات التي اتخذت عشية الحرب العالمية في أيرلندة ضد العمال (حملة صليبية) تستهدف العمال وحقوقهم.

وقد روّج الماركسيون مصطلح (الحروب الصليبية) معنى مجازياً سلبياً في كل كتاباتهم[1].

٣ - ظهور طبقة البرجوازية في إيطاليا:

وهذه من مصلحتها التوسع الخارجي بغية تنشيط رقعة عملها وإيجاد أسواق تجارية جديدة لصادراتها ووارداتها. وبالتالي وجدت مصلحتها في الحروب الصليبية بقصد السيطرة على تجارة البحر المتوسط والامتداد عبر العالم.

المجموعة الثالثة:

الاجتياح العربي الإسلامي لبعض الدول الأوروبية، ونخص بالذكر أسبانيا وجنوب فرنسا، والذي سماه العرب المسلمون: (الفتح الإسلامي)، بقصد نشر الرسالة الإسلامية بحد السيف وأسلمة شعوب أوروبا الوثنية وإعادتهم إلى جادة الصواب والدين الحنيف.

(١) انظر كتاب ميخائيل زابوروف (الصليبيون في الشرق) دار التقدم موسكو ص ٥-٩.

ومن نتائج الحروب دائماً القتل والتدمير والسيطرة والاستيلاء بالقوة على أرض الآخرين ونهب الأموال والتشريد وتقييد الحريات الدينية والسياسية وغيرها من الحقوق.

فقد استنجدت الكنيسة الكاثوليكية الأسبانية بالبابا في روما طالبة التخلص من العرب المسلمين المتوحشين على (حدّ قولها)، ومنح البابا (الإسكندر الثاني) سنة ١٠٦٣ غفراناً للفرسان الفرنسيين الذين يذهبون لقتال المسلمين في أسبانيا.

كما تزامنت هذه الدعوى الكنيسة الأسبانية مع فكرة قرب موعد ظهور المسيح المخلص عليه السلام وضرورة تحرير القدس من العرب المسلمين، مما دفع البابا ((أربان الثاني في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٠٩٥ إلى إطلاق خطبته الشهيرة، في منطقة كليرمون بجنوب فرنسا، داعياً إلى تكفير العرب المسلمين واصفاً إياهم بالمتوحشين وضرورة تخليص الكنيسة الكاثوليكية الأسبانية منهم وإلى تحرير القدس الشريف من هؤلاء المتوحشين داعياً إلى تجييش الجيوش وحملات الحجيج المسلحة لتحرير القدس وسماها الذي دعا إليها (الحروب المقدسة).

والحجيج (حجيج الرب) وقال:

إن السلاح الذي بين أيديهم هو سلاح مقدس مبشراً بالمغفرة والرضوان لكل من يشارك فيها أو يساهم في تمويل هذه الحروب، وكان المقاتلون يخيطون الصليب على صدورهم للدلالة على أنهم

جيوش الرب يسوع المسيح عليه السلام ووصف العرب المسلمين بأنهم كلاب متوحشون كفار[1].

إضافة إلى ما تركته الحملات العسكرية العربية الإسلامية من مآسٍ وويلات على الحدود الفرنسية والتي كانت خاتمتها معركة (غوتيه) وقتل فيها القائد العربي عبد الرحمن الغافقي.

يقول الدكتور قاسم عبده في الصفحة /٥٧/ وما بعدها في كتابه الحروب الصليبية:

«ولما كانت الحركة الصليبية في التحليل الأخير إفرازاً للتفاعل بين الكنيسة والإقطاع، فإنها كانت تسعى بالضرورة إلى تحقيق الأهداف الكنسية التي كانت البابوية قد بلورتها من خلال نزاعها مع الإمبراطورية وهي أهداف كانت تتركز أساساً حول السيادة المطلقة للبابا على العالم المسيحي».

كما أن الحروب الصليبية كانت من ناحية أخرى محاولة لتحقيق أهداف الناس العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعي سواء من النبلاء وفرسانهم أو من الفلاحين.

التكفير البابوي والإنجيل

قال سيدنا المسيح (عليه السلام):

«لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون» (متى ٥٢/٢٦).

---

(١) الحروب الصليبية ص ٣٧.

«سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً فأذهب معه أثنين، ومن سألك فأعطيه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» متى ٥/٣٩ -٤٣.

قال البابا أربان الثاني ١٠٩٥م:

- إن العرب المسلمين متوحشون -إن العرب المسلمين كفار - إنهم كلاب ودعا إلى قتالهم وتشريدهم وسلبهم.

نريد أن نقول للبابا أربان الثاني وأمثاله من رجال الدين المكفرين الساديين:

إن بطاقتك الشخصية مسيحية، ولكنك لست مؤمناً بمسيح المحبة والسلام، ولا بإنجيله ولست عاملاً بشرعه وتعاليمه، وإنك استعملت كلمة الدين المسيحي كستار تغطي به آثامك وشهواتك ومصالحك الدنيوية أسوة بغيرك من رجال الدين لدى الطوائف والمذاهب الأخرى، وأنت جعلت من الصليب الذي هو رمز الفداء والتسامح والسلام، رمزاً للقتل والذبح والقهر والسلب والاحتلال والظلم.

أين صليبك من صليب سيدنا المسيح عليه السلام يسوع الأمن والسلام البشري؟

لا تنسَ أنت وأمثالك أن الله يعلم ما في الصدور ويحاسب، وأن التاريخ ذاكرة الشعوب، ولو كنت يا أربان صادقاً في الغيرة الدينية، لما

كنت إقطاعياً ، ولما كنت سادياً ، ولكانت الكنيسة الشرقية قد وقفت معك، لكن المسيحيين الشرقيين وقفوا ضدك، وكشفوا غطاءك، وعرفوا حقيقتك ونواياك الاستعمارية كما نُذَكِّرُ أمثالك وأتباعك بالحقيقة التاريخية حتى أن الكنيسة الغربية الكاثوليكية في المشرق العربي وقفت ضدك.

الفصل الرابع
محاكم التفتيش والتكفير

تعريفها:

محكمة غير عادية يرأسها أسقف مكلف من البابا دائماً لمكافحة الهرطقة بوسائط إجراءات التفتيش والتحقيق وبأساليب تحقيقيه وحشية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، وقد ظهرت محاكم التفتيش في بداية القرن الثالث عشر.

مفهوم الهرطقة:

كلمة يونانية الأصل (Airesis) وباللاتينية (Haeresis) وتعني الرأي الفردي الخاص الذي لا يتساوى مع آراء آباء الكنيسة، أو تعني الابتعاد عن النظرية الدينية الأصلية.

وبالعربية تعنى كلمات (البدعة والزندقة والارتداد والمغالاة) وهي باختصار كل فكرة أو رأي يخالف الإجماع العام ويعتبر خاطئاً ومرفوضاً.

وقدَ وصَمتْ الكنيسة الكاثوليكية كثيراً من المذاهب المخالفة لها بالهرطقة مثل:

الغنوصية في القرن الثاني الميلادي والمونتانية في القرن الثاني الميلادي أيضاً والكاثارية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ومذهب مارتن لوثر وكالفن والبروتستانتيه ومذاهب كثيرة لم نتعرض لها كونها ليست موضوع بحثنا.

- كما كانت الحركات الفلاحية والتحريرية ضد الإقطاعية (فكانت) توصم بالهرطقة، وكان اعتناق المسيحية والارتداد يُعَدُّ هرطقة[1].

وتذكرُ كتب التاريخ أن الهرطقة كانت دوماً تقف ضد ظلم الكنيسة في إقامة مملكة الله على الأرض.

-كما كفَّرَتْ الكنيسة الكاثوليكية العلماء والفلاسفة آنذاك، نذكر منهم: غاليليه لمقولته: إن الشمس ثابتة وإن الأرض تدور حولها.

تاريخ نشوئها:

يرى بعض الباحثين أن محاكم التفتيش فكرة يهودية الأصل، فقد نادى الفيلسوف اليهودي ابن ميمون (١١٣٥ -١٢٠٤) بتطبيق شريعة الكتاب المقدس في العهد القديم، التي نصت على محاربة المروق. فإذا شهد ثلاثة شهود عدول بأن أناساً ذهبوا وراء آلهة أخرى أُخْرِجَ المارقون من المدينة ((وَرُجِمُوا بالحجارة حتى يموتوا)).

---

(١) قصة محاكم التفتيش في العالم ص ٣١.

وقد استند في هذا إلى الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية التوراتي:

«إذا قام في وسطك نبيٌّ حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً:

لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم ليعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإيَّاه تعبدون، وبه تلتصقون ذلك النبيُّ أو الحالم ذلك الحلم لا تقبل لأنه تكلم بالزيغ من وراء إلهكم إلى أن يقول (فتنزعون الشر من نبيكم» (التثنية ١٣/١ -٥).

نص آخر:

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً:

«نذهب ونعبد آلهة أخرى إلى أن يقول فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه، ولا تَرِقَّ له ولا تستره بل قتلاً تقتله» (سفر التثنية ١٣/٦ -٨).

نص آخر:

«لا تدع ساحرة تعيش» (خروج ٢٢/١٨).

ولقد استند رجال الكنيسة إلى ما ورد في هذه النصوص التوراتية وإلى ما جاء في إنجيل يوحنا:

«إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» يوحنا ١٥/٦[1].

مفسرين هذه النصوص على أنها نصوص تكفيرية ويجب عليهم بموجبها أن ينشروا المسيحية بحدّ السيف.

متناسين ومخالفين النص الإنجيلي الصريح على نشر التعاليم المسيحية بالمحبة والمغفرة والتسامح وليس بالقوة والإكراه قال سيدنا يسوع المسيح عليه السلام :

«هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك» (لوقا ٢٤/٤٦ -٤٩ -مرقس ١٦/١٥ -١٦ متى ٢٨/١٩ -٢٠).

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مخالفة هؤلاء المنظرين الكنسيين تأويل النص وبيان مدلوله الحقيقي كما فعل بعض (شيوخ الدين الإسلامي الذين فسروا بعض الآيات القرآنية تفسيراً تكفيرياً مماثلاً، لغايات دنيوية. وسنبين ذلك في الأبواب اللاحقة.

- وقد رأى قاضي محكمة التفتيش في صقلية (لويس بارامو) الإسباني المولد والذي نشر عام (١٥٩٨م) في مدريد كتاباً حول أصول محاكم التفتيش المقدسة وتطورها وجاء هذا الكتاب رداً على خصوم هذه المحاكم وخاصة البروتستانتية أن محاكم التفتيش تكونت مع خلق العالم، وأن أول قاضي تفتيش كان هو الله، وأن أول الهراطقة

---

(١) قصة محاكم التفتيش في العالم - د بسام اسخيطه ص ١٤.

كان أدم وحواء اللذين أنزلهما الله من الجنة لخيانتهما السر الإلهي بأكلهما من الشجرة المحرمة (شجرة معرفة الخير والشر) لذلك يجب على المفتشين أن ينفذوا بدقة ما سبق أن أداه الله بنفسه.

- ولم يكتفِ بهذا، بل استطرد قائلاً: إن ورقة التين التي كانت تستر عورة آدم وحواء بعد نزولهما إلى الأرض ترمز إلى الثوب الأصفر الذي يرتديه المحكوم عليهم بالإعدام من قبل تلك المحاكم في أسبانيا.

وكان المسيح أول المفتشين وتسلم بعده بطرس وبولص.

- وهناك رأي آخر يقول: إن أساس محاكم التفتيش يعود إلى العهد اليوناني، فقد كانت القوانين اليونانية ترى أن الابتعاد عن عبادة الآلهة اليونانية والمروق منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام وقد أتُّهِمَ سقراط (٤٩٦ -٢٩٩ ق. م) بالخروج عن الدين وإفساد عقائد الشبان وحكم عليه بالموت، وتجرع السم تنفيذاً لحكم المحكمة.

- وثمة رأي آخر يقول:

إن ظهور شيعة (الكاثارى) الدينية والتي كانت تُقَسِّمُ الكون إلى خير: الله والروح والسماء، وإلى الشر: الشيطان والمادة والعالم المادي، وتقول: إن الشيطان هو من خلق العالم المرئي وليس هو الله وترى أن المادة كلها شر بما فيها الصليب الذي مات عليه المسيح والقربان المقدس، وأن الكنيسة الرومانية (زانية بابل) وأن رجال الدين هم زمرة الشيطان وأن البابا هو المسيح الدجال وكان الكاثاريون يندّدون بالحروب الصليبية ويصفون صانعيها بأنهم قتلة.

إلا أن الكنيسة استطاعت القضاء عليهم ومن أجل ذلك ظهرت محاكم التفتيش بأمر من البابا ((أنيوسنت)) الثالث عشر ١١٩٨/ - ١٢١٦م)[1].

أسباب أخرى لظهور محاكم التفتيش:

هناك آراء متباينة في أسباب ظهورها ويمكننا إيجازها منعاً للإطالة المملة كما يلي:

- يردُّ المؤرخون المعادون للكنيسة الكاثوليكية التي كانت حاكمة آنذاك هذه الأسباب إلى:

١ - الفساد الذي ساد الكنيسة الكاثوليكية في تلك العصور.

٢ - عدم تسامحها مع مخالفيها.

٣ - ظهور البروتستانتية والكنائس المسيحية الأخرى المخالفة للكنيسة الكاثوليكية والتي قامت بالأساس بالإصلاح الكنيسة الكاثوليكية.

٤ - محاربة الكنيسة الكاثوليكية للأديان الأخرى كاليهودية والإسلام والتي كانت تخوض لأجل ذلك الحروب الصليبية.

- ويرى المؤرخون المعاصرون المدافعون عن (محاكم التفتيش)

- إن أسباب وجودها حكمة إلهية و(أداة ربانية) أنقذت المجتمع من الانحلال والتفسخ، وأما في أسبانيا فقد كانت معبِّرة عن التكاتف القومي والوحدة ضد أعدائها المسلمين والعرب واليهود.

---

(١) قصة محاكم التفتيش في العالم ص ١٤-١٨.

- أما الماركسية:

فترى أن ظهور الهراطقة ومحاكم التفتيش لملاحقتها والقضاء عليها حسب فهم الماركسيين للتاريخ يعود إلى الصراع الطبقي ضدً المجتمع الإقطاعي والمكان الذي تبوأته الكنيسة الكاثوليكية وأن هذه الكنيسة تنظر إلى النظام الإقطاعي أنه (هبة الغبطة الإلهية) وكانت تعتبر أن أي ثورة أو مهاجمة ضد النظام الإقطاعي -اجتماعياً كان أو سياسياً - موجهة بالدرجة الأولى ضد الكنيسة وبالتالي هرطقة ومروق من الدين، وقد أضحت هذه المحاكم أداة للبطش بأعداء هذه السلطة.

ومنذ بداية القرن السادس عشر استخدمت محاكم التفتيش الأسبانية والبرتغالية لتحقيق الأهداف الاستعمارية ضد شعوب المستعمرات في أمريكا وآسيا.

كما استخدمت في مرحلة النهضة ضد الآراء الإنسانية والعقلانية والإصلاحية الديمقراطية في أسبانيا[1].

من هم رجال التفتيش؟

كان يتم اختيارهم من رهبانيتين أساسيتين هما: رهبانية الدومنيكان ورهبانية الفرانسيسكان.

وكان البابا ((كليمنت الخامس)) (١٣٠٥ -١٣١٤) يعين رهباناً يافعين في سن ما قبل الأربعين من ذوي العزم الماضي والهوس الديني والقسوة الجارفة ومن غليظي القلوب والحريصين بنفس الوقت على

---

(١) قصة محاكم التفتيش في العالم ص ٢٥-٢٦.

منافعهم المادية الشخصية فكان هؤلاء نخبة منتقاة من الساديين السفاحين، أسوة بأجهزة القمع لدى الحكومات الديكتاتورية المعاصرة.

ولم ينس البابا ((أنيوسنت الرابع)) (١٢٤٣ -١٢٥٤م) في العام ١٢٤٥ منح المفتيشين حق منح بعضهم بعضاً الغفران عما يرتكبونه من آثام في أثناء تأديتهم وظائفهم المقدسة[1].

صور رهيبة من المحاكمات:

١ - محاكمة البرفسور ((جورج بوكانين)):

كان مدرساً متميزاً لمادة الفلسفة في جامعة توتيمبرغ من أصل اسكوتلاندي وقد حوكم لمقولته: (إنني لا أؤمن بأن المسيح يعطينا جسده لنأكل وروحه ودمه لنشربه في العشاء الأخير وأشك في وجود المطهر) وكانت عقوبته السجن والاضطهاد.

٢ - ((داميان دوغو نيش ١٥٠٢ -١٥٧٤)):

إنساني برتغالي اشْتُهِرَ مؤرخاً في القصر الملكي البرتغالي. أصدرت محكمة التفتش البرتغالية حكماً بتوقيفه بحجة أنه متسامح مع الموارِكة (العرب، المتنصرين) وبميله للبروتستانية وتشدقه بكلمات نابية بحق الحبر الأعظم.

٣ - ((هوغورجيني)):

تاجر إنكليزي اتُّهم باللوثرية عام ١٦٠٦م، أوقفته محكمة

---

(١) نفس المصدر ص ٥٥

التفتيش، وبقي موقوفاً عدة أشهر، وأخلي سبيله لعدم تمكن المحكمةمن اثبات التهمة بحقه.

٤ - ((أنطونيو جوزيه دوسيلفا)):

كاتب مسرحي كوميدي كان يعمل مدرساً في كلية الحقوق الكنيسة أوقفته محكمة التفتيش الإسبانية عام ١٧٣٩م بتهمة الهرطقة وأُحْرِقَ حياً.

٥ - رجال الدين الذين باعوا أرواحهم للشيطان أصدر البابا ((كليمنت العاشر عام ١٦٧٤م)):

قراره بمنع محاكم التفتيش من إقامة المحاكمات ومن توقيف أحد والحكم عليه وأرسلت جميع المتهمين بالهرطقة مع أضابيرهم إلى الفاتيكان. بذلك تم إيقاف محاكم التفتيش في البرتغال جميعها إلا أن خلفه ((أينوسنت الحادي عشر)) تراجع عن قرار سلفه عام ١٦٩١ فاحتفلت محاكم التفتيش بإقامة مذابح هائلة في لشبونة وكوثميره وأيغورا وتم تنفيذ أحكام بمتهمين كان منهم:

- القس ((مانويل لوبيز دوكارفالو)): أُحْرِقَ في العام ١٧٢٥م في لشبونة بتهمة إدِّعائه أنه (المسيح المنتظر) ورغبته في شنق رجال التفتيش أجمعين.

- الراهبة (تيريزا): أُحْرِقَتْ بالنيران عام ١٧٤٠م لإقامتها علاقات مع الشيطان.

- القس ((انطوان إبرة لوريير)) إينيكيم: أُحْرِقَ حياً بالنار عام ١٧٤١ لإفشاء الاعترافات.

- القس ((بدرودوبتتز)) إينيكيم: أُحْرِقَ عام ١٧٤١ لادعائه أنه زار الجنة.

- الراهبة ((ماريا دوروزاريو)): حُكِمَ عليها بالحرق عام ١٧٤٨ بتهمة مساكنتها للشيطان واعترفت بتأثير الضرب والتعذيب أنها ولدت للشيطان أولاداً وقططاً ومسوخاً يبلغ عددهم السبعة.

٦ - ((سيباستيان كارفال دوميل)):

الذي عرف بالتاريخ باسم المركيز، وكان سفيراً للبرتغال في لندن وفيينا، وعمل وزيراً للخارجية والداخلية وبعد اغتيال الملك جوزيه الأول استلم شؤون البلاد وأمر بإيقاف محاكم التفتيش وانفصل عن البابا وكانت نهايته كمثل نهاية الآخرين[1].

أنواع التكفير الكنسي

من خلال قراءتنا للتاريخ الكنسي نجد أن التكفير الكنسي ينحصر في نوعين: وهما داخلي، وخارجي.

- التكفير الداخلي: وتمثل في التكفير المسيحي المَسيحي؛ وتجلى ذلك في حالات عديدة نذكر منها:

- تكفير الكنيسة الكاثوليكية للكنيسة الأرثوذوكسية.

---

(١) قصة محاكم التفتيش في العالم ص ٢٧٣ وما بعدها وقد وردت إحصائيات دقيقة تشير إلى قتل وحرق الآلاف وسجن عشرات الآلاف من النساء والرجال بتهمة الهرطقة.

- تكفير الكنيسة الكاثوليكية للكنيسة البروتستانتية.

- تكفير الكنيسة الكاثوليكية لكل الكنائس التي خالفتها.

كما وقعت حالات تكفير من الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الكنائس المسيحية لأفراد مسيحيين منهم أساقفة ورهبان، نذكر منهم على سبيل المثال:

(آريوس وبرسيليان) ومنهم علماء وفلاسفة أمثال العالم (ميجل سيرميف)) الذي أعدم عام ١٥٥٣م وغاليليه -والفليسوف الإسباني فيفس ١٥١٧ والكاردينال كرانسكي وغيرهم كثر.

- التكفير الخارجي: وتجلى في تكفير الكنيسة الكاثوليكية للعرب المسلمين واليهود وكان نتيجة هذا التكفير الحروب الصليبية على المشرق العربي وما جرت هذه الحروب من ويلات ودمار وقتل وسلب....



الفصل الخامس
الأصولية المسيحية اليهودية

تعريفها:

هي اتجاه ديني متشدد في مسائل العقيدة والفكر المتفرّع عنها والمؤمنة بالعصمة للكتاب المقدس بجزئيه العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل).

أسس هذا الفكر: يرتكز هذا الفكر على محورين أساسين وهما:

١ - إن (إسرائيل) وشعبها شعب مقدس ومختار من الله، وإن الدفاع عنها والدعاء إلى الله أن يساعدها واجب مقدس وإن إسرائيل الوارد ذكرها في التوراة هي إسرائيل الموجودة اليوم في فلسطين.

٢ - إن العودة الثانية للسيد المسيح عليه السلام لا تتحقق إلا بعد أن تعود مملكة إسرائيل في فلسطين على أعظم مما كانت عليه سابقاً بحدودها التوراتية من الفرات إلى النيل وبالتالي يجب على الكنيسة المسيحية أن تعتبر مساعدة اليهود في تحقيق حلمهم هذا واجباً دينياً بل جهاداً مقدساً.

وعلى هذا الأساس سيست الكنيسة الغربية والأمريكية رؤيتها للفكر اللاهوتي المسيحي للكنيستين البروتسانية والإنجيلية واعتبرت أن احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ من قبل اليهود وانتشار دولتهم إسرائيل تأكيد لنبوءة التوراة وجاءت حرب ١٩٦٧ والتي فيها احتلت إسرائيل كامل القدس الشريف ومساحات من الأراضي المصرية والسورية والأردنية لتؤكد بنظرهم صدق نبوءة توراتهم وقرب اكتمال مملكة إسرائيل والتي تعني قرب موعد العودة الثانية لسيدنا المسيح عليه السلام والذي سيحكم ألف عام.

وفرحت الكنيستان البروتستانتية والإنجيلية باحتلال فلسطين عام ١٩٤٨ وبآثار حرب حزيران ١٩٦٧ واعتبرت هذين العامين عامين مسيحيين بكامل نتائج الحربين وأن كل الدول أو المجموعات أو الأشخاص التي تعارض أو تناهض دولة إسرائيل أعداء الله لأنهم يعيقون النبوءات التوراتية.

وأضحت بذلك معظم الكنائس البروتستانتية والإنجيلية أصولية مسيحية صهيونية.

ونتيجة لنشاط اليهود الدءوب استطاع كبار الحاخامات التلموديين خرق الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا وأوروبا وشقها إلى كنيسة أصولية موالية لهم أسوة بالكنائس البروتستاتيتة والإنجيلية، وكنيسة ليست أصولية مسيحية لأنها وقفت على الحياد ولم تعط رأيها في قيام دولة إسرائيل ونتائج حرب عام ١٩٦٧ ، بل اكتفت بإحالة قضية القدس الشريف إلى الأمم المتحدة وتدويلها.

هــذه الكنيســة الأصــولية المســيحية أنتجــت المســيحية اليهوديــة التلموديــة، وبــذا دخلــت المســيحية الأصــولية دائــرة المســيحية اليهوديــة التلمودية منذ مطلع السبعينات، ولا تزال تنتشر وتنشط لدى الكنائس المسيحية البروتستانية والإنجيلية والكاثوليكية، وسعت هذه الحركة المسيحية الصهيونية إلى تحقيق مقررات أول مؤتمر لليهود وقد أعلن المسيحيون الصهيونيون عام ١٩٨٥ في اجتماع دولي لرجالاتهم:

«نحن الوفود المجتمعين هنا من دول مختلفة، وممثلي كنائس متنوعة، في نفس هذه القاعة الصغيرة والتي اجتمع فيها منذ ٨٨ عاماً مضت الدكتور تيودورهرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول والذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة إسرائيل، جئنا معاً للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير وشغفنا العظيم بإسرائيل (الشعب والأرض والعقيدة) ولكي نعبر عن التضامن معها، وإننا ندرك اليوم وبعد المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود، أنهم مازالوا يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي.

وإننا كمسيحيين ندرك أيضاً أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، إننا نتوحد اليوم في أوروبا وبعد مرور أربعين عاماً على الاضطهاد اليهودي -الهولوكوست لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها في بال، إننا نقول:

((أبداً.. ولا رجعة)) للقوى التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار - هولوكست جديد ضد الشعب اليهودي».

ومن الإطلاع على مجمل قرارات هذا الاجتماع العالمي المسيحي نجد أنه لم يذكر شيئاً عن المسيحية أو الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين أو المسيحيين فيها[1].

كيفية اختراق الصهاينة للكنيسة الأصولية

كان اليهود مكروهين منبوذين لدى الشعوب الأوروبية كافة، ففي نهاية القرن الثالث عشر طرد الملك (إدوارد) اليهود من إنكلترا، وفي نهاية القرن الرابع عشر طرد ملك فرنسا اليهود من فرنسا، وفي نهاية القرن الخامس عشر طرد ملك أسبانيا اليهود من أسبانيا وفي نهاية عام ١٤٩٢ تم اكتشاف أمريكا وهو العام نفسه الذي سقط فيه الحكم العربي في الأندلس ومع اختراع الطباعة عام ١٤٥٤أخذ اليهود في الانتشار في أوروبا مشكلين طبقة اقتصادية باهرة وثرية وخاصة في مجال التجارة الخارجية، مما دفع إنكلترا إلى الاستعانة باليهود للاستفادة من خبراتهم في شبكات العلاقات التجارية التي أقامها اليهود عبر أوروبا فيما بعد.

ومع ظهور البرجوازية ودورها القيادي في المجتمع وبدء الاكتشافات الكبرى من ثروات خام وطرق تجارية أضحت أوروبا أكثر حاجة وقدرة على استيعاب اليهود وتوظيفهم في الأعمال التجارية.

ومع مرور الأيام أصبح اليهود هم من يديرون دفة الصراع المصلحي في الدول الأوروبية، كما أن ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتية في فهم الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) الذي كان وقفاً على رجال

---

(١) البعد الديني في السياسية الأمريكية –د. يوسف الحسن ص ٢٥ وما بعدها

الدين فقط، كل ذلك ساعد على التَّغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية والأوروبيين وفي صنع تاريخهم.

حيث وصل هذا التأثير إلى معظم قادة الدول الأوروبية ورجالات الفكر فيها.

وعلى سبيل الذكر لا الحصر؛ نشير إلى أن الملك هنري الثامن ملك إنكلترا أمر عام ١٥٣٨ بترجمة التوراة إلى اللغة الإنكليزية، مما أتاح لعامة الشعوب الأوروبية الإطلاع عليها، كما اعتمدت المسيحية الأصولية التوراة العبرية كنصوص مقدسة، حتى غدّت فلسطين في قرارات ومجامع هذه الكنائس هي أرض اليهود وعُدَّ اليهود غرباء في أوروبا غائبين عن وطنهم وسيعودون إليه عندما يأمر الله.

كما تمكن اليهود من إدخال الحروف العبرية إلى عالم الطباعة، وفي الفترة ما بين عامي ١٦٠٣ و ١٦٢٥اعتمدهم الملك جيمس الأول في ترجمة العهد القديم مما أدى إلى انتشار الفكر اليهودي والدراسات اليهودية الصهيونية في الجامعات والثقافات الأوروبية؛ هذا التغلغل أدى إلى:

١ - إمكانية قبول التفسير اليهودي للعهد القديم، وخاصة فيما يتعلق بمستقبل استعادة اليهود لفلسطين.

٢ - اقتناع طلبة الجامعات الأوروبية بأن كلمة إسرائيل الواردة في التوراة تعني كل اليهود في العالم.

٣ - قبول تفسير التوراة بأن نهاية العالم مرتبط بعودة المسيح(عليه السلام) الثانية، وهذه العودة مرتبطة بعودة اليهود إلى فلسطين وتشكيل مملكة إسرائيل الكبرى.

ومع حلول القرن السابع عشر اختلق اليهود فكرة السامية وأنهم ساميون وأن معاداة السامية هي معاداة الله نفسه، وقال المؤرخ اليهودي (سيسل روث) : ((إن فكرة السامية أصبحت تفرض نفسها وتكتسب الاعتراف بها في الأوساط الرسمية والشعبية واتصفت هذه الظاهرة بثلاثة مظاهر وهي:

أ - التعاطف مع اليهود

ب - الخجل مما عانوه في الماضي.

ج - الأمل في تحقيق نبوءة عودة اليهود إلى فلسطين.

مع العرض بأن اليهود هم من الجنس الآري وليس من الجنس السامي كما هو ثابت تاريخياً.

و في ذلك بحوث ودراسات تاريخية كثيرة.

وتحدثت المؤرخة ريجيتا شريف عن تأثير المقولات الصهيونية في الكنيسة الأصولية المسيحية في القرنين السابع عشر والثامن عشر سواء في ألمانيا أو فرنسا أو إنكلترا، وعلى أعمال عدد من الفلاسفة من أمثال (باسكال، كانط) وعلى بعض العلماء أمثال إسحاق نيوتن وكان نابليون بونابرت أول رئيس أوروبي يقترح استعادة اليهود لفلسطين أرض الميعاد كما عمدت الحكومة الفرنسية إلى طرح خطة (كرمونوويلث) مقابل القروض اليهودية لفرنسا ومساهمة اليهود في تمويل حملة نابليون لاحتلال الشرق العربي بما فيه فلسطين.

وظهرت دعوات كثيرة في أوروبا من قبل كبار رجال الدين الكنسي لمناصرة اليهود، نذكر منهم مثلاً:

القس برادنشو عام ١٨٤٤ الذي جاء في ندائه إلى البرلمان الإنكليزي بتخصيص أربعة ملايين جبنيه إضافة إلى مليون جنيه لمساعدة اليهود في استعادة فلسطين.

وكذلك فعل القساوسة (تولي كرايياك الذي كان رئيساً للبرلمان البريطاني والقس وعضو البرلمان البريطاني لورنس اوليفانت والقس وليام هشلر الذي أرسلته الحكومة البريطانية إلى تركيا لمقابلة السلطان العثماني عبد الحميد وإقناعه بمسألة توطين اليهود في فلسطين.

وأعدّ دراسة سماها (استعادة اليهود لفلسطين) عام ١٨٩٤ وسماه اليهود (حبيب صهيون) وقد تكلل كل ذلك في وعد بلفور عام ١٩١٧[1].

جذور الصهيونية في التاريخ الأمريكي:

باختصار شديد، المهاجرون الأولون إلى العالم الجديد الذي سمي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني للقرن السابع عشر كانوا من البيورتيانين (التطهيرين) الأصوليين اللذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية وتفسيرات التوراة اليهودية والتي كانت قد انتشرت في أوروبا في القرن السادس عشر.

حتى إن اللغة التوراتية كانت لغة رئيسية لدى سكان المستوطنات، وقد سمُّوا بعض المدن بأسماء مدن فلسطينية مثل (أورسالم، جدعون، صهيون، كنعان) كما سمُّوا أولادهم أسماء توراتية مثل (سارة، إبرام، إليعاز، داود، موسى).

---

(١) المصدر نفسه ص١٩ وما بعدها

كذلك فعلت معظم الكنائس الأمريكية، مثلما فعل معظم القساوسة الأوربيين، بأن كرسوا نشاطهم لخدمة اليهود والصهيونية ومساعدتهم فكرياً ومالياً في عودة اليهود إلى فلسطين، ومنهم القس جون ماكدونا ووليم بلاكستون، وألف الأخير كتاباً سمّاه: (عيس قادم)، كما أنشأ منظمة صهيونية مسيحَية سماها البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل) واسمها الآن (الزمالة اليسوعية الأمريكية) وهو من أوائل من أسس جماعة ضغط على الحكومة الأمريكية لمصلحة اليهود.

مما دفع ببعض الرؤساء الأمريكان إلى التسابق لخدمة الصهيونية في قيام دولة إسرائيل في فلسطين وكان أولهم الرئيس الأمريكي ولسون حيث قال بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى: ((أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا))

وفي عام ١٩٢٢ صادقت أمريكا على وعد بلفور بصورة نهائية.

وقد شكلت عدة منظمات صهيونية مسيحية وكان أهمها (اللجنة الفلسطينية المسيحية الأمريكية) والتي تأسست عام ١٩٣٢ وضمت عدداً كبيراً من رجال الدين اليهود والمسيحيين وأعضاء من الكونغرس والوزراء الأمريكان، وقد مارست هذه اللجنة ضغوطها على صانعي القرار الأمريكي وخاصة في عهد الرئيس (ريغان)، فقد وضعت شروطاً لتقديم السلاح للعرب وهي:

١ - إعلان رغبة الدول العربية في الانضمام إلى حلف (الدفاع عن العالم الحر) ضد الشيوعية.

٢ - الموافقة على التفاوض مع إسرائيل لإيجاد حل سلمي.

٣ - إنهاء المقاطعة العربية المباشرة وغير المباشرة والحصار المفروض على إسرائيل.

وبذا أصبحت معظم الكنائس البروتستانتية أصولية صهيونية، وانقسمت إلى كنيستين:

١ - الكنيسة البروتستانتية:

التي تمثل الخط العام وهي تضم كنائس النخبة، والطبقة العليا ،وتسمى كنائسهم: (الانكلوسكسونية البيض) وتختصر بكلمة واسب (Wasp) وهذه أكثر الكنائس تأثيراً على السياسة الأمريكية وتضم الفكر الصهيوني المسيحي الأصولي.

٢ -الكنيسة البروتستانتية الليبرالية:

ويمثلها المجلس الوطني للكنائس في الولايات المتحدة، وتضم حوالي ٤٠/ مليون مسيحي، وهذه الكنيسة عارضت منذ تأسيسها مقولة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وهاجمت الحركة الصهيونية حتى قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن الصهيونية بعد ذلك استطاعت وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ خرق هذه الكنيسة والتغلغل فيها.

ويوجد في الولايات المتحدة الأمريكية جمعيات ومنظمات مسيحية صهيونية كثيرة جداً ولها تأثير مباشر على صانعي القرار الأمريكي وتسعى لمساعدة الكيان الصهيوني في فلسطين، كما أن هناك مجلات

وصحفٌ عديدةٌ تبحث في الفكر المسيحي الأصولي الصهيوني، من أهمها مجلة (المقيمون مؤقتاً)، ومجلة (الجانب الآخر)، مجلة (الوطن).

كما استطاعت الصهيونية خرق الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا منذ عام ١٨٩٧ وكان لها التأثير الكبير في الموافقة على تدويل قضية القدس ومسألة اللاجئين الفلسطينيين.

إلا أن الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في الفاتيكان في روما لا تزال محافظة على موقفها التقليدي من قضية فلسطين ومعارضتها لهجرة اليهود إلى فلسطين، وقد اتسم موقفها مؤخراً بالصمت تجاه الكيان الصهيوني الإسرائيلي المتغلغل والمحتل في فلسطين ومسألة القدس واللاجئين الفلسطينيين.

كما لجأت الصهيونية إلى فكرة (الكنيسة المرئية) حيث تبث بكافة الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والالكترونية برامج واستعراضات تتضمن الدعوة إلى قبول فكرها (المسيحي الأصولي الصهيوني) و أول من سماها بهذا الاسم الصحفي الأمريكي (جيم مونتغمري) في مقال له نشر في ١٩ أيار عام ١٩٧٨ وأهم برامجها للقس جيري فولويل[١].

وفي مطلع السبعينات أخذ الرؤساء الأمريكان يتسابقون لخدمة الكيان المتغلغل في فلسطين (إسرائيل) فكانت أهم إنجازات الرئيس الأمريكي كارتر لهذه الحركة الصهيونية ما يلي:

---

(١) نفس المصدر ص١٠٤ وما بعدها.

١ - دوره المباشر في اتفاقيات كامب ديفيد الموقعة بين مصر العربية وإسرائيل عام ١٩٧٨.

٢ - أول رئيس أمريكي يشكل لجنة لموضوع (الهولوكست) أو حرق اليهود في العهد النازي عام ١٩٧٨.

ثم جاء دور القساوسة المناصرين من الكنيسة المسيحية الأصولية الصهيونية ومن أبرزهم القساوسة (جيري فولويل، بوب غورودون، جورج أويتس) وهذا الأخير هو من أسس منظمة (رعوية المغامرة الكبرى) وكان له دوره المتميز في الصراع العربي الإسرائيلي في الثمانيات، حيث أوجد المنسق (سعد حداد) وجماعته إلا أن المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله تمكنت من القضاء على هذه الشرذمة العميلة.

باختصار أصبح اليمين الأمريكي من ضمن النسيج الكنسي الأصولي الصهيوني منذ عهد الرئيس ريغان وحتى الآن.

ويقول رئيس أكبر المنظمات السياسية لليمين المحافظ وهو (هوارد فيليبس):

«إن حقوقنا تأتي من الله ومما تقوله التوراة وليس من الحكومة»[1].

كما شكلت الولايات المتحدة ما يسمى (السفارة المسيحية الدولية - القدس)، وأهدافها تشمل كافة الطموحات الصهيونية اليهودية التلمودية حالاً ومستقبلاً وتعمل من أجل تحقيقها ودعمها.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٨.

رأينا:

إن قول سيدنا المسيح عليه السلام :

«لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون..»؛ لا يمثل هذا القول حقيقة دينية فحسب بل يمثل حقيقة تاريخية أيضاً ، وتاريخ البشرية مليء بالأمثلة الحية الشاهدة على صدق قوله عليه السلام .

- ما أخذه العرب المسلمون بالسيف في أسبانيا وغيرها باسم الفتوحات الإسلامية انتزع منهم بالسيف وكان في ذلك مهلكة لهم.

- وما أخذه الأوربيون الغربيون بالسيف باسم الصليب وتحرير القدس انتزع منهم بالسيف وكان في ذلك مهلكة لهم.

- وما أخذه اليهود الصهاينة بالسيف باسم الشريعة الموسوية من فلسطين وسلب سكانها الأصليين أراضيهم وقتلهم وتشريدهم، سوف يُسترد منهم بالسيف وسيكون في ذلك مهلكة لهم عاجلاً أو آجلاً ، ولن تفيدهم كل الأسلحة الفتاكة التي يمتلكونها ، فمنطق الحياة والتاريخ يثبت ذلك، وكذلك تعاليم الشرائع السماوية ، - نعم إن ((للباطل جولة)).

فالحرب هي الحرب، والتكفير بدعة بشرية لا علاقة لها بالدين، ولا بالرسالات السماوية ، ولم يأمر الله أنبيائه أو رسله بتكفير أحد ولا بقتالهم وسلبهم ولا بهتك أعراضهم، ولم يقر الله أن الإيمان يأتي بحدّ السيف بل يأتي من خلال الإيمان الصادق والعمل الصالح والمحبة والتسامح، فانجيل الله هو إنجيل الأمن والأمان والسلام، وأما كتاب هؤلاء المُكَفِّرينَ المسيحيين فهو ليس الإنجيل بكل تأكيد بل هو كتاب بشري مدون بأحرف نفوس سوداء شيطانية ، ومغلف بغلاف

أبيض عنوانه الإنجيل وإنجيل سيدنا يسوع المسيح عليه السلام متبرئ إلى يوم القيامة منه ومن كتبته من أنباء الدنيا العابثة اللاهية الظالمة تجار الناموس.

كما نرى أن الأساس الذي بُنِيَتْ عليه الحروب الصليبية ليس أساساً دينياً ولا دفاعاً عن كلمة الله ولا عن إنجيله ولا عن كنيسته بل هي حروب اقتصادية استعمارية بدليل أن كتب التاريخ الأوربية والعربية منها ما يؤكد أن النظام الإقطاعي الظالم الذي كان سائداً في أوروبا آنذاك هو سبب الحروب الصليبية؛ إذ كان يتزعمه رجالات الكنيسة (البابا والأساقفة والقساوسة والنبلاء)، وكان صراعهم الاقتصادي الإقطاعي ينصب في امتلاك المساحات الكبيرة من الأرض وحُبِّ السيطرة على الآخر والحد من سيطرة الكنيسة الدنيوية الاقتصادية؛ إضافة إلى الفقر المدقع الذي كان يعمُّ السواد الأعظم من الشعوب الأوروبية ومع ظهور بذور البرجوازية الإيطالية وأملها في التوسع والسيطرة على دول البحر المتوسط والمنطقة العربية الغنية بالثروات الطبيعية ولكونها سوقاً واسعة ورائجة لتصريف البضائع كل ذلك دفع بالخلافات الأوروبية الغربية مجتمعة متحدة لإيجاد حلول لواقعها الاقتصادي المتردي فكانت نتيجتها الحروب على المنطقة العربية، مستغلين كل هذه الأسباب إضافة لفكرة حلول الألفية الثانية المبشرة بظهور المسيح المخلص في القدس مما دفع بالغالبية العظمى المسحوقة لقبول فكرة الخلاص الديني والدنيوي والسير حفاة عراة جائعين وراء قادتهم الإقطاعيين باسم لقاء المخلص يسوع عليه السلام وتحرير القدس من العرب الحاكمين باسم دين غير

دينهم وليمهدوا الطريق أمام المسيح الآتي. والفقراء البسطاء هم عبر التاريخ حطب المحرقة.

والجدير بالذكر أن هذه الحملات الصليبية، كما سموها عبر التاريخ، لم تكن بالواقع حملات مسيحية بدليل أن الكنيسة الشرقية العربية (الأرثوذوكسية) لم تتعاون معهم بل قاتل رعاياها مع إخوانهم وأقربائهم العرب المسلمين ضد هذه الحملات حتى إن الكنيسة الغربية الكاثوليكية العربية لم تكن تساندهم أيضاً بل كان لها مواقفها العربية والوطنية إلا أن المفكرين اليهود الصهاينة استطاعوا عبر خرقهم للإعلام الغربي أن يشوّهوا الحقيقة؛ وبالتالي أن يثبتوا - من تاريخ وقوع هذه الحروب حتى الآن - أن المسيحيين و(*بكل طوائفهم*) هم أعداء العرب والمسلمين وقد روجت للآسف حتى بعض الحركات الأصولية الإسلامية - بقصد أو بجهل - لهذه الفكرة الهدامة.

وإني أرى أن تسمية تلك الحروب بالحروب الصليبية من الأخطاء التاريخية العربية الإسلامية الجسيمة والأصح تسميتها (بالحروب المعاكسة الأوروبية) كردٍ على الاحتلال العربي لبعض البلدان الأوربية بما في ذلك الموانئ والجزر، وبدوافع اقتصادية وليست دينية حتى أن محاكم التفتيش الكنسية لم تكن بالأصل محاكم دينية ومن الثابت تاريخياً أن الهراطقة ما هم إلا طبقة مسحوقة مظلومة وقفت في وجه الكنيسة الإقطاعية الجائرة، وبالتالي فهي حرب بين ظالم (الكنيسة ورجال السلطة) وبين مظلوم الفلاح الفقير المعدم (المهرطق).

كما أرى أنه آن الآوان للعرب والمسلمين أن يقرؤوا التاريخ بشكل صحيح، وذلك للأسباب التالية:

١ - تعرية الفكر اليهودي التلمودي والكشف عن جذوره التي ليست من الله في شيء ثم إظهار مدى توغله المدمر وخرقه للفكر المسيحي والإسلامي وبيان مصلحته النزوية في خلق الشقاق بينهما.

٢ - ضرورة العمل على تطوير المجتمعات العربية والإسلامية علمياً ومعرفياً وثقافياً وتوفير مساحة كافية من الحرية، مما يهيء لمناخ إبداعي إنساني راقٍ، يفتح الباب على مصراعيه للدخول إلى عالم الحداثة المعاصرة، ذات الهوية وليس الحداثة المضادة!!!؟؟.

والمشاركة في البناء الحضاري العالمي الإنساني، لأن الحضارة أخلاق وقيم إنسانية وتطور علمي يخدم الإنسانية.

٣ - مصلحة العرب والمسلمين في المشاركة الحضارية والحوار والتبادل الحضاري البناء وتفعيل الديمقراطية والتطوير والتحديث، وليست مصلحتهم في الانغلاق والتكفير وارتداء الجلباب وإطلاق اللحى والانصراف إلى الفكر اللا علمي وقهر العقل وسجنه في قفص التخلف والعصبية الجاهلية، فهذا كلهُ ليس من الدين الإسلامي في شيء.

٤ - كشف الغطاء عن الحركات الخارجة عن القرآن والسنة النبوية والمسماة تاريخياً بالخطأ (الحركات الأصولية) لأن الأصل

طاهر وحضاري وهو الرسول(ص) ، وتعريتها أمام الجماهير العربية والإسلامية وبيان مدى ارتباطاتها المشبوهة بالمخابرات البريطانية والأمريكية والماسونية وغيرها من (تمويل وتدريب وإيواء وتوجيه وتعاون)، وخاصة منها التي تدين بنشوئها وتنظيمها للمخابرات الاستعمارية، كتنظيم صديق، وذلك لتضرب بها تنظيمات عالمية معينة، ولقد احتاجتها هذه الأيام كتنظيم معادٍ وإرهابيٍّ وذلك لاستغلال حالته الموصوفة المعلنة، لضرب البلاد والعباد في الجغرافيات الإسلامية بدون استثناء ولكن بأولويات؟؟!!

٥ - فصل المؤسسات الدينية عن العمل المؤسساتي الحكومي، مع ترك الحرية للناس فيما يعتقدون في بيوت العبادة وما في حكمها. على أن تكون الطقوس الدينية طرق عبادة، وأن تكون التجمعات الدينية للعمل الخيري، لا للتكفير والإرهاب.

وقفة لا بد منها

من الرجوع إلى تاريخ الكنائس البروتستانتية والإنجيلية والكاثوليكية الأمريكية والأوروبية نجد أن هناك كنائس بروتستانتية يُطلق عليها: الكنيسة الليبرالية تنكر أن فلسطين هي أرض اليهود الموعودة وتنكر قيام دولة إسرائيل، إضافة إلى الكنيسة الكاثوليكية التي حتى الآن لم تقم بأي فعلٍ عمليّ مؤيد للكنيسة المسيحية الأصولية الصهيونية.

السؤال:

خلال تلك العقود التي عبرت وحتى تاريخه، لماذا لم يقم القادة والسياسيون ورجال الفكر العرب والمسلمون بأي دور حواريّ إيجابيّ مع هاتين الكنيستين لخدمة العرب والمسلمين وخاصة قضية فلسطين!!؟؟.

ثم أيضاً ما يُسمون بقادة المؤتمرات الإسلامية ورجالات الدين والفقهاء والعلماء والمنظرين المسلمين؛ أين دورهم الحواري الحضاري مع هاتين الكنيستين المؤثرتين في العقل والقرار الأمريكي والأوروبي؟

أيظنون أنهم بالاكتفاء في مؤتمراتهم وتجمعاتهم بالاستنكار والدعاء على اليهود والبحث في الشكليات الدينية التي لا تضر ولا تنفع يحبطون مساعي الصهيونية العالمية؟؟!!.

أم تراهم يعتقدون أن مهمة رجال الدين الإسلامي في الدول والمجتمعات الإسلامية إصدار فتاوى تكفيرية بحق بعض الفرق والمذاهب الإسلامية وبث الفكر الطائفي والمذهبي بين صفوف المسلمين لأن هذا هو المطلوب منهم؟!

- لماذا ينفقون المبالغ الطائلة لدعم الحركات الأصولية التكفيرية؟!! ولا ينفقونها في مشروع حضاري نهضوي.

- لماذا بحق السماء نسند تقصيرنا وإهمالنا وتقاعسنا وضعفنا وجهلنا إلى الآخرين؟!

أليس فينا من المقومات الإنسانية والحضارية والتاريخية ما يسعفنا للوقوف على أرجلنا أقوياء نفكر قبل أن نعمل ونعمل قبل أن نأكل بعد أن نشعر بالجوع لا قبله؟

- نقتل بعضنا ونقول لعن الله الشيطان فهو السبب.

- نزني في عرضنا وحضارتنا وتاريخنا ونقول: لعن الله الشيطان فهو السبب.

- نخون أرضنا وشعبنا ونقول: لعن الله الوسواس الخناس فهو السبب.

- أوصدنا على عقولنا العربية والإسلامية بأغلال ثقيلة منذ القرن الرابع الهجري خوفاً على سلامة عقولنا وحسن تفكيرنا حسب اعتقاد أهل الغيرة على الدين.

- تَقَاعسنَا عن الجهاد وقلنا: إن الله معنا، وهو من سيحرر لنا الأرض والإنسان ونحن بانتظار الفرج الذي لن يأتي بسبب تقاعسنا وتوكلنا بدون عمل ولن يأتي ما دمنا على هذه الحال.

- ترك رجال ديننا الفكر القرآني الإنساني الحضاري المسالم وسعوا جاهدين في البحث عن الفكر العدائي التكفيري اللاحضاري اللاإنساني متذرعين بحجج أسوأ من فكرهم بأن السلف الصالح من أراد ذلك..؟!!!

- بعض قادتنا السياسيين نسوا البلاد والعباد وتعاونوا مع العدو من أجل السلطة والمطامع الدنيوية التافهة. لماذا هذا أيها القادة...؟!



الباب الثالث

التكفير في الرسالة المحمدية (القرآن)



الفصل الأول
التكفير في القرآن

قبل أن نشرع في تدوين بعض النصوص القرآنية وإظهار المأثور من مفهومها التأويلي والأحاديث النبوية المتفق عليها.

والتي جاءت على لسان رسول صادق أمين، جاء بشيراً ونذيراً للبشر كافة، ونضعها في معناها بحسب قلوبٍ محررةٍ من أقفالها؛ وليس بحسب المعنى التفسيري الاجتهادي المختلف عليه، بين طائفة وأخرى، وحتى بين مذهب وآخر، بدلالة قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران ٧].

ولا خلاف بين الطوائف الإسلامية كافة على أن المقصود بعبارة ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم آل بيت الرسول (ص) كذلك لا خلاف على أن أمير المؤمنين الإمام علي (كرم الله وجهه) هو باب مدينة علم رسول الله (ص).

ومما يجدر بنا ذكره: أن العلي الأعلى قال: (لا يعلم تأويله) ولم يقل: ((لا يعلم تفسيره)).

فالتفسير: هو -البيان والشرح وتفسير آيات القرآن، شرحها وتوضيح ما تنطوي عليه من أسرار وأحكام وحِكم (المعجم المدرسي) كما ورد في شرح تفسير القرآن بأنه (علم غايته توضيح معاني القرآن الكريم، وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وأحكام وحِكَم).

والتأويل هو:

علمٌ غايته توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وأحكام وحِكَم وتفسير ما تشابه من آياته بإرجاعه إلى المُحكم فالتأويل صادق أبداً لصدوره عن الله تعالى:

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وهم الرسول(ص) وباب علمه الإمام علي وآل البيت أجمعين عليهم السلام.

أما التفسير فهو اجتهاد شخصيٌّ غير محصن، مختلفٌ عليه.

وخلاصة القول: إنَّ قُرَّاء القرآن الكريم ثلاثة أنواع كما نرى:

١ - قرَّاء يقرؤون القرآن ويفهمونه كما أراد الله عز وجل أن يُقرأ ويُفهم، وهؤلاء لا يجدون في كافة سور وآيات القرآن الكريم نصوصاً تكفيرية إطلاقاً؛ كما لا يعدون أنفسهم مسموحاً لهم أو أنهم مكلفون بتكفير أحد بمعنى: لم يكلف الخالق الأنبياء أو الرسل أو الملائكة أجمعين بتكفير بعض الطوائف أو الملل أو المذاهب أو الأشخاص وإباحة قتلهم وسلبهم وهتك أعراضهم وتشريدهم. وأصحاب هذه القراءة هم:

أ - قارئ مؤمن صالح مسالم:

لم يخرج في قراءته للنص القرآني عن تأويله الصحيح.

ب - قارئ واعٍ عادلٍ:

هذا القارئ لم يتأثر بالموروث التاريخي غير العادل.

٢ - قرَّاء يؤولون بعض نصوص القرآن بأنها أحكام بتكفير جماعات معينة، وتأويلهم ليس أكثر من مزاعم، وهؤلاء يمكن الحكم عليهم بأنهم:

أ - قارئ جاهل أو حافظٌ جاهل:

عطل عقله أو عَطَّلَهُ شيخه.

ب - قارئ متعصب:

غلّف الحقد والبغضاء قلبه فمنعه ذلك من قراءة النص القرآني كما أراد الله.

ج - قارئ محتج:

يفسر النص القرآني كما يريد هو، لغايات ومصالح دنيوية باطلة، ولاعتبارات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية.

وهذا ما نجده عند بعض القراء المستشرقين أو عند بعض المحتجين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

٣ - والصنف الثالث من القراء:

من لم يقل بوجود نصوص قرآنية تكفيرية أو بعدم وجودها: وهما اثنان:

أ - قارئ لم يقرأ القرآن الكريم: ولم يطلع عليه ويجد أنه لا يعنيه هذا الأمر من قريب أو بعيد.

ب - قارئ منصف: يخشى قول ما لا يعرفه.

النصوص القرآنية المتضمنة كلمة (كَفَرَ) ومشتقات هذا الفعل:

لدى قيامنا بالإحصاء العددي لكلمة (كَفَرَ) ومشتقات هذا الفصل من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نرى وردت في /٥٢٤/ آية من سوره.

أنواع الكفر

١ - الكفر بالله:

قال تعالى:

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف: ٣٧].

٢ - الكفر بآيات الله:

قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧].

:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩

:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ٥٦].

:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤].

:﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٣]

٣ - الكفر بنعم الله: قال العلي الأعلى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النمل: ١١٢].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

٤ - الكفر بالرسول (ص):

قال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]

:﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٤٣]

:﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [الكهف: ١٠٦]

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠].

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

٥ - الكفر بيوم القيامة

قال جل جلاله:

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣]

:﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩]

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]

٦ - الكفر بالقرآن الكريم:

قال العزيز الحكيم:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ ٣١]

:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت ٢٦].

٧ - الكفر ببعض الكتاب

قال عالم الغيب والشهادة:

﴿.. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]

٨ - الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر:

قال العزيز الحكيم:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء ١٥٠]

٩ - الكفر بالكذب والافتراء: قال العلي الأعلى:

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦]

مساواة الكفر بالنفاق والفجور والخيانة والفسوق والعصيان والفتنة والاستكبار والفحشاء:

الكفر والفسوق والعصيان:

قال تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]

:﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤]

:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١]

:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة ٦٨]

:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣]

:﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨]

الكفر والفتنة:

قال جلَّ وعلا:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة ٤٩]

:﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ

فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ١٩١].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]

الكفر والاستكبار:

قال تعالى

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٣٤]

﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]

﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ لسبأ: ٣٢].

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنْ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]

الكفر والخيانة:

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]

:{إن الله لا يحب الخائنين} [الأنفال: ٥٨]

الكفر والفجور:

قال تعالى:

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢].

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

الكفر والفحشاء والمنكر والبغي:

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

بيان معاني بعض المفردات

الخيانة:

هي النكث بالعهد والأمانة، من فعل خون وخان بمعنى نقض وعده ونكث عهده ج. خونة، من خائن. (محيط المحيط ص٢٦١).

العصيان:

خلاف الطاعة وترك الانقياد من فعل عصى بمعنى خرج عن طاعته وخالف أمره وعانده، ج. عصاة. (محيط المحيط ص٦٠٨).

الفتنة:

من فعل فتن بمعنى الميل بتحريض ما وفُتِنَ فلان حرضه وفتن في دينه مال عنه.

والفاتن:

اللص والمضل عن الحق والشيطان والفتنة مصدره وهي الابتلاء والغلال والإثم والفضيحة.

الفجور:

مباشرة الأمور على خلاف الشرع و المروءة ويطلق على الزاني فاجر، والفاجر بمعنى السَّيِّء الخُلُق والشتَّام ومؤنثها فاجرة والفجور يشمل عدة معاصي منها الزنى ومنها الكذب ومنها الميل عن الحق ص٦٧٧ -٦٧٨

البغي:

الظلم والجرم والخيانة والعصيان والتعدي والضلال والزنى؛ يقال امرأة باغية بمعنى زانية ص ٤٧.

الاستكبار:

والكبر بمعنى العظمة والتجبر و الإثم الكبير ص ٧٦٨.

وعند العامة:

بمعنى النظرة الدونية الحقيرة للآخر.

الكفر في النص القرآني:

لسهولة تبسيط البحث وتيسير فهمه على القارئ الكريم من غير تعقيد وتشابك وتداخل مما تضيع معه الحقيقة وبالتالي نكون قد أخرجنا القارئ أو المستمع من دائرة الحقيقة القرآنية، فقد رأينا توزيع هذه النصوص القرآنية على ثلاث مجموعات:

- *النصوص القرآنية التي بينت من هو الكافر:*

قال العلي الأعلى:

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩]

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥]

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]

لقد كفّر الله جلَّ جلاله كلاً من:

١ - من أنكر وجود الله تعالى.

٢ - من أنكر وجود يوم القيامة

٣ - من أنكر حقيقة الملائكة والأنبياء والرسل جميعاً.

٤ - من أنكر أن التوراة والإنجيل والقرآن أنها كتب سماوية.

٥ -من آمن ببعض الرسالات السماوية دون بعضها الآخر..

٦ - من أتهم سيدتنا العذراء مريم (عليهما سلام الله) بالقدح والقذف.

٧ - من أنكر آيات الله العظمى (مفردات الكون السماوية والأرضية) وأنها من خلق المبدع الحكيم.

٨ - من أنكر نعم الله على خلقه أجمعين.

نلاحظ أن مجموع هذه الإنكارات يوجد بينها تلازم ولا يمكن الفصل بينها.

فمن ينكر الله سينكر خلقه أجمعين، ومن ينكر الأنبياء والرسل والملائكة والكتب السماوية؛ فهو بالتالي منكر لوجود المرسِل والمنزِّل (الله)، ومن ينكر يوم القيامة (الحساب) فهو منكر وقوع الحساب والعقاب، وبالتالي هو منكر الحقيقة الوجودية للجنة والنار، مما يرتب على ذلك إنكاره للعدالة الإلهية ولتساوى المؤمن والكافر والصالح والطالح والجاهل والعارف.

ومن جَحَدَ نِعَمَ الله عليه ومن أوّلها وأعظمها نعمة العقل النير الذي هو غيضٌ من فيض من العقل الكلي، وتعليمه وتأديبه، وإيجاد سبل عيشه ورزقه، وتمكنه في الأرض وجعله خليفة له سبحانه وتعالى في الأرض و..

- وردتْ آيتان كريمتان توضحان أن الأنبياء والرسل ليسوا هم الذات الإلهية، وإن تمثلوا أنهم هم الله على الأرض يخلقون ويرزقون ويحيون ويفعلون المعجزات بأمر مبدعهم ومرسلهم ومنزلهم، فهم حقيقة أسماء الله على الأرض وفي السماء ولكنهم ليسوا (هم أو أحد منهم) الذات الإلهية لأنه سبحانه لا تدركه الأبصار، وبذلك تكون ذاته عرفت بأسمائها ودلت عليها صفاتها وحسبْ.

وهذا ثابت في الكتب السماوية الثلاثة.

في القرآن: قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب:٤٥]

في الإنجيل: قال سيدنا المسيح (عليه السلام):

«من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني» (متى ٤/١٠)

«إنه ينبغي لي أنه أُبَشِرَ المدن الآخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا أُرسِلتُ» (لوقا ٤٣/٤).

في التوراة:

«وقال الله لموسى هكذا تقول لنبي إسرائيل، يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، أرسلني إليكم» (الخروج ١٥/٣).

وهذا هو المقصود بالآية الكريمة:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

وفي الحقيقة، لا توجد طائفة مسيحية في العالم تقول إن سيدنا المسيح هو الذات الإلهية بمعنى هو (الآب وحده لا شريك له)؛ بل تقول: إنه هو الله على الأرض وليس هو الآب بمفرده بمعنى الذات الإلهية، أو هو وأمه مريم العذراء عليهما السلام إلهان من دون الآب أو أن ذكر سيدنا المسيح عليه السلام يلغي ذكر من أرسله وأبدعه الآب (الذات الإلهية) بدلالة أكثر من نص إنجيلي نذكر منها:

قال سيدنا المسيح (عليه السلام):

«اذهب يا شيطان، إنه مكتوب، للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (لوقا ٤/٨).

«إيلي، إيلي لِمَ شبقتني» (متى ٢٧/٤٦).

بمعنى إلهي إلهي لماذا تركتني.

وعندما سئل سيدنا يسوع الناصري عليه السلام عن يوم القيامة قال:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب» (مرقس ١٣/٣٢).

وهذه النصوص أيضاً تُفسر قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]

بحث فلسفي

إننا نرى أن الخلط في مفهوم الثالوث القدس حصل من تداخل ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد:

الآب:

يمثل الذات الإلهية والتي لا يعلم ما هي إلا هي ولا تظهر بجوهرها ولكن تعرف بأسمائها وتظهر بصفاتها ومنها (القدرة ـ المشيئة ـ العدل ـ القوة ـ الحكمة..إلخ) وتتجلى هذه الصفات في أسماء الذات المعنوية وبأمرها.

ومن أول أسماء هذه الذاتية الإلهية: (الله ـ الأنبياء والرسل) فتجلي القدرة والمشيئة للذات الإلهية في نبي أو رسول كإحياء الميت وشفاء المرضى وو..

هذا بالتأكيد لا يعني أن اسم الذات الإلهية التي أعطيت له هذه القدرة من قِبل مخترعها قد أصبحت بمرتبة الذات الإلهية أو نفسها، ولو كانت قد أصبحت بمرتبة الذات الإلهية لما كان سيدنا المسيح عليه السلام قال عندما وضع على خشبة الصليب: (إيلي، إيلي، لما شبقتني؛ إلهي، إلهي، لماذا تركتني).

ولما كان قال عليه السلام :

«الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحدٌ من الناس، ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية» (/١/ تيموثاوس٦/١٦/).

وقال عليه السلام :

«كل شيء قد دُفع إلي من أبي» (متى ١٠/٢٧)

فسيدنا المسيح يسوع الناصري عليه السلام هو اسم الله وكَرَّمَهُ الآب (الذات المعنوية) بالقدرة والمشيئة بأمره وبقي اسمه ونبيه ورسوله. وبقي في المرتبة الثانية بعد الآب (الذات المعنوية) الجوهر المطلق أسوة بباقي الرسل (آدم وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم سلام الله جميعاً)[1].

---

(١) للمزيد يراجع كتابنا (الرسالات السماوية ووحدة الدين) ص٧٣ وما بعدها

ومن المفيد ذكره أن المسيحيين عموماً لا يقولون بثلاثة آلهة بل يقولون بإله واحد آمين بدلالة الصلاة:

«أبانا الذي في السموات... لأن *لك* الملك والقوة والمجد إلى الأبد» (متى ٩/٦ -١٣ لوقا ٢/١١ -٤/)

لكن جرت العادة منذ ظهور فكرة الأديان أن يختص بعض الأشخاص ممن يُسمُّون (رجال الدين) بتكفير بعضهم بعضاً بعلم أو بجهل لغايات دنيوية وهذا من طبع البشر.

وإرادة العلي الأعلى الآب الأحد (الذات الإلهية) شاءت أن نسألها وندعوها بأسمائها التي عرفها البشر بها بدليل قوله تعالى:

﴿*بِسْمِ* اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

ولم يقل جلَّ جَلالهُ (الرحمن الرحيم).

وقوله تعالى:

﴿اقْرَأْ *بِاسْمِ* رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

وليس اقرأ ربك الذي خلق.

وقال سيدنا المسيح عليه السلام في نص الصلاة:

«أبانا الذي في السموات ليتقدس *اسمك*..»

فكلمة (الله) تأتي في القرآن الكريم بمعنيين حسب موقعها من النص القرآني تارة تأتي بمعنى (الذات الإلهية) وتارة تأتي بمعنى الاسم الأول للذات الإلهية.

الزيادة في الكفر

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]

هذه الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي أوضحت لنا أن الزيادة في الكفر، هي ما حرم الله في الأشهر الحرم الأربعة (ذي العقدة، ذي الحجة، المحرم، رجب)، وهذه الأشهر، كانت أشهراً حرماً في الجاهلية، لأن العرب أخذوها عن سيدنا إبراهيم خليل الله، فلا يجوز فيها فعل المحرمات إطلاقاً، وخاصة القتال وسفك الدماء والاعتداء، فكان بعض العرب في الجاهلية، وبعد مبعث الرسول(ص) ، يؤخرون هذه الأشهر عاماً ويحلّلونها عاماً، إذ كانوا كثيري الحروب والغزوات، ضاربين بعرض الحائط العمل بما حلّله الله وبما حرمه.

النسيء: لغة التأخير والتأجيل[1].

ملاحظة:

إن الخلافات والحروب والاعتداءات الدولية لا تعرف في هذا العصر ما يسمى (بالنسيء) ولا معمولاً به في الدول الإسلامية نفسها حالياً.

وأكبر مثال على ذلك ما يحدث من اعتداءات على الآمنين وقتل للأبرياء يومياً في فلسطين والعراق الشقيقين؛ بل إنَّ ردَّ الاعتداء ولو

(١) الميزان في تفسير القرآن المجلد التاسع الجزء العاشر ص ٢٧١ وما بعدها.

بمثله حالةٌ من حالات الدفاع عن النفس؛ بل هو واجب ديني ودنيوي، وغير مقيّد في زمان أو مكان.

وفي كل الأحوال لقد أصبحت ساحة الكفر بالله وبالقيم الإنسانية ومكارم الأخلاق أوسع بكثير من ساحة الإيمان بالله والتمسك بشرعه والعمل به، وبالتالي أضحت هذه الآية من المنسيات في عقول المسلمين وغير المسلمين.

خلاصة:

إن المسيحيين أتباع سيدنا المسيح عليه السلام ليسوا كفاراً بل مؤمنين أصحاب رسالة سماوية يعبدون الله الأحد، وإن ورود بعض تفاسير القرآن بتكفيرهم لهو شكل من أشكال العبث الديني والتاريخي والإنساني.

وقد تركهم الرسول(ص) ، كما ترك اليهود الموسويين على دينهم، وسماهم الله في القرآن الكريم أهل الكتاب، وإنما أُمروا بدفع الجزية مقابل الزكاة لبيت مال المسلمين لحمايتهم ورعايتهم أسوة بالعرب المسلمين.

فالرسول(ص) جاء (مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل).

الإيمان والكفر حالتان اختياريتان

قال تعالى:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤].

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]

﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]

إن تأويل هذه الآيات ومعناها واضح تماماً، ولسنا في حاجة للعودة إلى تفاسير القرآن الكريم، أو إلى معاجم اللغة العربية.

فالله الخالق المبدع العادل خلق الإنسان في أحسن تقويم (عقل مدبر ولسان ناطق، وأنزل له الرسالات السماوية، مبيناً فيها الطريق المستقيم والطريق الباطل، وهداه إلى إتباع الصراط المستقيم، ونهاه عن إتباع الطريق الباطل، بل وحذَّر من عقابه سبحانه، من يتبع هذا الطريق الملتوي الذي يضم في ثناياه كل أفعال الشر من صغيرها وكبيرها.

ولولا هذا الاختيار الإلهي لما كان من معنى لوجود الثواب والعقاب (الجنة والنار) ولما كان من لزوم إلى يوم القيامة.

ولو أَمَرَ الله جلَّ جلاله المؤمنين بدوام قتال الكافرين، ليعودوا إلى العالم الإيماني، لبقيت الدنيا ملتهبة ناراً ودماراً، ولكانت قد انتفت الغائية من خلق الكون والإنسان، ولبطلت مفاهيم ومفردات كثيرة مثل (العدل -الحرية - المساواة)، ولعمت الفوضى هذا الكوكب الجميل (الأرض) الله

الله وحده صاحب الأمر

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢]

وفي سور القرآن الكريم مئات الآيات، جاءت متوافقة، وبلسان واحد، وبحقيقة واحدة، تثبت لجهة أنه سبحانه تعالى صاحب الأمر، لا شريك له في الحساب، ولم يفوض أحداً من خلقه أجمعين، بما فيهم الأنبياء والرسل والملائكة، بتكفير الناس أو بمحاسبتهم يوم الحساب.

والسؤال المحيِّر:

كيف سمح بعض رجال الدين من كل الطوائف والمذاهب لأنفسهم بإصدار فتاوى تكفيرية خارجة على النصوص الرسالية كافة، وعلى الأحاديث النبوية للأنبياء والرسل جميعاً، ومارقة على الفطرة الحسنة التي فطر الله الناس عليها، من عبادة الله، والتمسك بمكارم الأخلاق، فأباحوا (قتل الآخر وسلبه وهتك عرضه وتشريده) بتهمة أنه كافر زنديق بنظرهم، لأن الآخر المُكَفَّرْ لا يعتقد ما يعتقدون من أفكار شيطانية هدامة، ولا يمارس الطقوس الدينية كما يمارسون، ولا يلبس كما يلبسون، ولا هو مرتبط كما هم مرتبطون و.. في الوقت الذي يعبد فيه المُكفِرْ والمُكَفَرْ الله، كلٌ بطريقته الخاصة، أو كلٌ حسب شرعة نبيه ورسوله التي أمره الله بتبليغها.

لقد نسي هؤلاء المكفرون قوله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]

وقوله جل جلاله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٩٤]

أليس هؤلاء المكفرِّون هم أعداء الله قبل أن يكونوا أعداء الإنسانية؟

قال الرسول (ص) :

«من قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» (ص بخاري ج١ الحديث ٢٥٨).

وقال ((ص)):

«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم إلى عياله» (ص بخار ج٤ الحديث ٥٤٨٩).

:«لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»

سأل رجل الرسول ((ص)) أي الإسلام خيرٌ قال:

«تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعِرفْ» (ص بخاري ج١ الحديث ١٢)

قال أمير المؤمنين الإمام علي (كرم الله وجهه):

«احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»

قال الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»

قال الإمام أبو حنيفة (رضي الله عنه):

«إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول(ص) فاتركوا قولي».

قال الإمام مالك (رضي الله عنه) :

«كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله(ص) عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنه في حياتي وفي مماتي».

قال الإمام الغزالي (رضي الله عنه) :

«إن الخلاف والتحزُّب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض وحلل دماءهم وأموالهم وأعراضهم وحرف الكتاب والسنة ثم صيرهم كالعدم بسد باب الاجتهاد».

ويقول:

«أنا لست بمعتزلي ولا أشعري ولا أرضى بغير الانتساب إلى الإسلام وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام. وأعد الجميع إخواناً وأحسبهم على الحق أعواناً».

يقول أحمد أمين:

:((ولئن كان التسامح في زمانهم واجباً فهو في زماننا أوجب لسببين:

١ -*الأول* أن كثيراً من أسباب الخلاف كان تاريخياً وقد أصبح في ذمة التاريخ كالخلاف في أي الصحابة أفضل.

والخلاف فيما عمله الصحابة في حروبهم وسيرهم وقد انقضى هذا ودفن في التاريخ فما لنا نفتح صفحة طواها الله.

٢ -إن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى الوحدة لوقوعهم في مشاكل أمام أوروبا وأمام أنفسهم، ولا ينقذهم منها إلا وحدتهم وليس أسرُّ لعدوهم من فرقتهم فما لنا نسيء لأنفسنا بفرقتنا ونُفرحُ العدو بشتاتنا والله تعالى يقول:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]. [آل عمران: ١٠٣]

يقول العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

إنني من أكثر الناس تتبعاً لهذا الذي يجري، من التلاعب بمعاني القرآن وأحكامه، وطمس الوقائع التاريخية المتمثلة في أسمى مظاهر التعايش المسيحي الإسلامي في كنف الحكم الإسلامي، هذا الذي يجري على أيدي أو ألسن فئات من ذوي اللّحى الطويلة والجلابيب القصيرة، مع سعيها إلى تقطيع صلة القربى بين المسلمين والمسيحيين فوق أوطاننا المشتركة.

ولعلي من أكثر المراقبين إطّلاعاً على الأصابع الأجنبية الخفية التي تحرّكهم طِبْقَ خطة رُسمت في جنح الظلام في الغرب، ثم أُرسلتْ لتُطبَّق علانية على أيدي هؤلاء الزعانف في الشرق.

وما انفجار حافلة السائحين الأجانب بمن فيهم قبل سنوات في مصر، والفتنة بين المسلمين والمسيحيين هناك إلا تنفيذ وانقياد من جنود مجهولين .. والقصد البعيد الذي يسخر له هؤلاء الناس، هو أن يتحول الشعور الديني والإيمان الجامع بين المسلمين والمسيحيين فوق هذه الأرض العربية الإسلامية إلى عداوة تستشري بين جوانح كل من الفئتين ضدَّ

---

(١) طهر الإسلام ج٣ ص ١٠٤-١٠٥.

الأخرى لتقطع سبيل التلاقي والتعاون بينهما، وليعود الوبال بعد ذلك إلى كل الفئتين حيث يفوز عندئذ تجار العولمة وروادها[1].

يقول العلامة حسين أحمد شحادة:

وإذا كانت المحن الوطنية قد وحّدت شهداء الإيمان المسيحي الإسلامي في ماضيها البعيد وحاضرها القريب فإن التآزر بينهما اليوم سيربط عقد هذه الوحدة بينهما برباط العروة الوثقى لاستخلاص هويتنا الثكلى من أنياب الظلم الجديد الذي يفتت خليتنا ويمزق شخصيتنا الرسالية ويرفع من خلالها صورة للدين لا علاقة لها بتوراة أو إنجيل أو قرآن.

غير أن الواقع المرير يصدمنا بسؤاله:

أين وحدة الإنسان المعلق في فضاء غربته بين جزر الطوائف والمذاهب المتخصصة بصناعة جدران الفصل بين المؤمنين والقرآن الكريم صريح بدعوته إلى وحدة الإيمان والإنسان بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة ٦٩]

يقول العلامة الدكتور عبد اللطيف صالح فرفور:

(بجانب الصواب كثيراً من يظن مفهوم الدين لدى العرب المسلمين .. إنه مفهوم غيبيٌ وحسب، يعتمد المعجزات والخوارق ويمسك السيف يسلّطه في وجوه من لا يدين به، وإن الإرهاب المذموم بمعنى الاعتداء على

---

(١) المَعارج: مجلة شهرية تصدر عن منتدى المعارج لحوار الأديان – عدد ممتاز لعام ٢٠٠٤ ص٢٤-٢٥.

النفوس والأرواح عنصر من عناصره فهو بذلك يخدم أعداء العروبة والإسلام بتشويهه صورة الإسلام المشرقة ذات الصبغة الحضارية.

فالدين في الإسلام بالفقه الحضاري الحق، حضارة العقل، وحضارة الروح، وحضارة الإنسان، لذلك كان الدين مفهوماً إنسانياً قائماً على أساس عقلي وروحي معاً في بنية يعربية)[1].

يقولَ العلامة الدكتور وهبي الزحيلي:

١ -ليس الإخاء الديني شيئاً جديداً أو طارئاً وإنما هو امتداد لتاريخ طويل، فهو تقرير وتأكيد لحقيقة تاريخية وتشريعية ومعاشية فنحن المنتمون للإسلام والمسيحية أسرة واحدة قوية.

٢ -اقتضت مشيئة الله تعالى وحكمته وجود الاختلاف في الطبائع والعقائد والسلوك.

٣ -كل إنسان له كرامته وقدسيته الخاصة به، والإنسان ليس وسيلة ومجرد أداة بل هو غاية في ذاته بحسب خلق الله وحكمته عملاً بقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

٤ -كل إنسان كائن اجتماعي وجد لخدمة الآخرين ونفعهم لا لمجرد إشباع أهوائه وشهواته وقصر نفعه على ذاتيته. وبذلك نرفض كل الاتجاهات غير الصحيحة كالعرقية والعصبية والمذهبية والطائفية.

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٩.

ويقول مشبهاً الحركات التكفيرية المتعصبة المنغلقة وسواء في الإسلام أو المسيحية إلى الانغلاق اليهودي بقوله:

(أما الانغلاق كانغلاق اليهودية وتعصب اليهود فهو نذير شرٌ وسوء)[1].

يقول المفكّر نوفل نوفل إبراهيم:

(مهما يكن من أمرٍ، يبقى موضوع التعايش المسلمين مع غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى، موضوعاً ذا أهميةٍ بالغة لما يتعلق به، من استقرار حياة المجتمع، واستمرارية وجوده، وتماسكه، نابذاً فيه أيةُ فكرة تطرفية، تسعى لخلق الاضطراب وترسيخ أفكار التعصب الأعمى، الذي لا يستند إلى برهان ولا إلى أساس سليم)[2].

يقول الشوكاني:

لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لستَ مؤمناً، فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام لله، وقيل هما الإسلام[3].

يقول النبهاني:

(وأنت إذا نظرت إلى كل فرد من المسلمين عامّتهم وخاصّتهم لا تجد في نفس أحد منهم غير مجرد التقرب إلى الله لقضاء حاجاتهم الدنيوية

---

(١) نفس المصدر ص ١٠١-١٠٢.

(٢) نس المصدر ص ١٣٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني ١/٥٠١.

والآخروية بالاستغاثات مع علمهم بأن الله هو الفعال المطلق المستحق للتعظيم بالأصالة وحده لا شريك له)[1].

يقول أحمد زيني دحلان:

(الذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله سبحانه أو اعتقاد التأثير لغير الله ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله ولا تأثير أحد سوى الله تعالى).

يقول محمد علوي المالكي:

(إذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفيرهم).

وكذا قال محمد الظاهر:

(يجب الحمل على الإسناد المجازي ولا سبيل لتكفير أحد من المسلمين)[2].

وطبيعيٌ أن نفهم الإسلام أنه لغةً في السلام، وأنه بدأ بآدم واختتم رسالياً بمحمد(ص) ذلك كما جاء في مناخات الحداثة والحداثة المضادة للمفكر والعلامة الدكتور أحمد أسعد الحارة في ديوانه، والتي منها:

(من لا يستطيع أن يوحد الإنسان في الأرض، ليس له أن يوحد الله في السماء!!).

وقال شعراً:

---

(١) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢١ وما بعدها.

أَلَسْتُ ابنَ الرِّسَالاتِ انْتِسَاباً

وَحَسْبِيَ وِحْدَةُ الإِنْسَانِ دِيْنَاً[1]

القتل والقتال في النص القرآني:

وردت كلمة (قتل) ومشتقاته /١٧٠/ مرة في نصوص سورة القرآن الكريم وسوف نقتصر على بعضها لضرورة البحث والاختصار.

ميز القرآن الكريم بين حالات ثلاث للقتل:

القتل غير المقصود (الخطأ):

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

إن تفسير هذا النص وتأويله في كافة تفاسير القرآن الكريم[2] تقول جميعها إن القتل الخطأ كأن يطلق إنسان سهماً على صيد فيقع خطأ على إنسان آخر فيقتله فهذا النوع من القتل تنتفي فيه النية بالقتل، وعقوبته تحرير رقبة، بمعنى تحرير عبد أو دفع دية لأهل المقتول، فإن

---

(٢) ديوان الحارة الكتاب الثالث، الطبعة الثانية لعام ١٩٩٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن مجلد ٩- ج٥ ص ٣٨ وما بعدها - مجمع البيان في تفسير القرآن ج٢ ص ١٩١ وما بعدها- اللباب في شرح الكتاب ج٣ ص ٣٦ -تفسير الصافي - المجلد الأول ج٥ ص ٤٤٧ -٤٤٨.

عَفَوْا عن أخذها بإرادتهم الحرة لإيمانهم بالقضاء والقدر لوقوع القتل خطأ، فهذا كرم أخلاق منهم، وإن لم يجد القاتل رقبة يحررها أو دية يدفعها لفقر ما له، فإن الله يُلزمه صيام شهرين متتالين تكفيراً له عن خطئه حتى ولو كان المقتول مسلماً مؤمناً بالله وبالقرآن أو مسلماً مؤمناً بالله وبالإنجيل أو مسلماً مؤمناً بالله وبالتوراة بمعنى: سواء أكان من أهل الكتاب أو من غير أهل الكتاب فمن بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بعدم اعتداء كل منهم على الآخر..

القتل القصد:

وهو الذي تتولد فيه النية الجرمية بالقتل في لحظة من لحظات التقاتل، ولم يكن عن سابق إصرار وتفكير وروية وتحضير.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]

هذا النوع من القتل هو بين القتل الخطأ والقتل العمد وهو المقصود بالقتل قصداً.

وأقرب مثال عليه قتال المشركين الرسول(ص) وأتباعه، فقتال المشركين الرسول(ص) يمثل القتل، العمد، لأنهم خططوا له بروية وتفكير، وبدؤوا بالقتل، وأمَّا قتال المسلمين وَقتلهُم للمشركين المعتدين

يُسمَّى بالقتل القصد لأن الرسول لم يكن ينوي قتالهم، ولم يعدّ العدة مسبقاً لذلك، فهذا القتل هو دفاع عن النفس، وتولدت نيَّة القتل لدى المسلمين لحظة القتال دفاعاً عن أنفسهم، كما حدث في غزوة الخندق، وغيرها من الغزوات.

وجاءت تفاسير القرآن الكريم لتؤكد على أن هذا النوع من القتل هو القتل قصداً وليس عمداً[1] وبدليل أنه سبحانه أوجب فيه العفو من أهل المقتول عن القاتل، بينما في القتل العمد لم يوجب فيه العفو، وإنما جزاء القاتل عمداً جهنم وبئس المصير.

وقَيَّدَ عقوبة القاتل بالقتل، هو كل تجاوز بعد القصاص أو العفو فيدخل في دائرة الكفر وعقوبة الفاعل عذاب أليم.

القتل العمد:

هو القتل الذي يرتكبه الفاعل بعد تفكير وروية وتخطيط وتحضير للأدوات الجرمية، وهذا عقوبته القتل في الدنيا، وله في الآخرة جهنم وبئس المصير، ولا يقبل فيه العفو ونحوه من التكفير عن الذنب.

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد الأول ج٢ ص ١٠٠ وما بعدها- الميزان في تفسير القرآن المجلد الأول ج٢ ص ٤٣٢ وما بعدها - تفسير الصافي المجلد الأول ج٢ ص ١٩٦ -١٩٧.

قالت تفاسير القرآن الكريم[1]:

إن قتل المؤمن بالله (سواء أكان مسلماً أو كتابياً مسيحياً أو موسوياً أو كل من قال بوحدانية الله بشكل عام) عن سبق إصرار وتفكير وتخطيط وإعداد جريمة لا تغتفر في السموات ولا الأرض.

ويمكننا أن نذكر أمثله على ذلك:

قَتْلِ كفار ومشركي قريش كثيراً من أصحاب الرسول(ص) عمداً لأنهم مؤمنون أو حسبان صَلْبُ سيِّدنا مسيح الله عليه السلام عمداً لأنه مؤمن بالله وبرسالته المقدسة وبإخوة الإنسان بلا تمييز (الإنجيل).

تحريم القتل عموما:

قال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة ٣٢]

لقد حرَّم الله القتل عموماً، إلا أن يكون القتل نفساً بنفس، كقصاص، لارتكابه الفاحشة، أو أن يكون المقتول يستحق القتل لإفساده في الأرض ولإشاعته الفتنة بين الناس ودفعهم للاقتتال، أو لارتكاب الفاحشة، ولبغية بين الناس، وما إلى ذلك من إضرار بالناس،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد الثاني ج٥ ص ١٩٥-١٩٦ الميزان في تفسير القرآن المجلد ٥ ص ٣١٥-٣١٧- تفسير الصافي المجلد الأول ج٥ ص ٤٤٨.

لأن الخالق العظيم ساوى بين الكفر والشرك والفحشاء والبغي، إذ خَلَقَ الإنسانُ ليَبْنِي أسرة ويعيش بسلام ويعمل على بناء هذا الكون بناء حضارياً خيرًاً، ولم يُخلقْ ليقتل.

وأول جريمة قتل على وجه الأرض كانت بغير نفس أو فساد في الأرض هي قتل قابيل الشرير (الوحش) لأخيه هابيل العاقل الخيرِّ (الإنسان)!.

فقتل إنسان بريء يعني قتل جميع البشر بصرف النظر عن دينه ومذهبه ومعتقده، وجاء اللفظ (إنسان) للتعميم، فقتل الإنسان البريء جريمة، سواء أكان صينياً أو إفريقياً أو أوروبياً أو أمريكياً أو عربياً أو... وبالمقابل فمن أنقذ إنساناً من الموت كمن أنقذ غريقاً أو.. فكأنما أحيا البشر جميعاً.

هذا النص أكد على قدسية الحياة وتفضيل الخالق سبحانه الإنسان على كافة مخلوقاته وأنه سبحانه خلق كل شيء لأجل الإنسان، فكيف يُقدِمُ إنسان على قتل أخيه الإنسان البريء المظلوم؟!

فهذه جريمة لا تغتفر، وليس لها كفارة في السموات ولا في الأرض، ولا تمحوها كثرة الصلوات والزكاة والصيام والحج.

النصوص القرآنية التي تحض على القتال

قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ[٨] بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ -٩]

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ[١٩٠] وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[١٩١] فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٠ -١٩١]

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ[٢] وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٣] إِلَّا الَّذِينَ

عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٤) فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٥)﴾ [التوبة: ١ -٥]

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]

في بداية الدعوة المحمدية الرسالية لم يكن مصطلح القتال وارداً في النص القرآني، وبعد اشتداد أذى المشركين في مكة للرسول (ص) وأتباعه، أمرهم الله سبحانه بالقتال، وكان هذا الأمر الإلهي ثقيلاً على المسلمين، لقلّتهم وقلّة عتادهم وعدتهم من جهة، في مواجهة المشركين وكثرة عدّتهم وعتادهم.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لأن في القتال قتلاً للنفس، وهذا ما لم يكن يألفه أنصار الرسول (ص) ولأن تعاليم القرآن الكريم كانت في بداية الدعوة تقتصر على تقرير وحدانية الله عزَّ وجلَّ، وأن كل ما قيل عنها بأنها آلهة ما عداه ما هي إلا معتقدات كاذبة، لا تغني ولا تسمن من جوع، بمعنى لا تضر ولا تنفع، وأن الرسول(ص) جاء ليكمل رسالات العليّ الأعلى التي نُزِّلت على الأنبياء والرسل الذين سبقوه، مصدِّقاً لما معه ولما قبله.

وعندما قويت شوكة الرسول(ص) وكَثُرَ أتباعه، أمره الله جلَّ جلاله وأتباعه بقتال المشركين من أهل مكة حيثما وجدوهم الآية (١٩١) البقرة من الذين قاتلوه وآذوه وأصحابه، وحاولوا إخراجهم من مكة المكرمة.

ولكن أمر القتال الإلهي جاء مقيَّداً بعدم الاعتداء على الآخرين، على أنِ يقتصر قتال المسلمين على المشركين من أهل مكة والبادئين بالقتال.

كما أمر الخالق العادل بعدم قتل النفس التي حرَّم قتلها إلا بالحق، فلا يجوز قتل أهل الكتاب من (يهود موسويين - مسيحيين)، كما لا يجوز قتل من هم على عهد وميثاق أمان، مع الرسول(ص) بصرف النظر عن دينهم ومعتقدهم وجنسهم وجنسيتهم وكذلك لا يجوز قتل الأبناء خشية إملاق ووأد البنات خشية العار الآيات /١٥١/ الأنعام -البقرة ١٩٠/ والممتحنة/٩/ والتكوير/٨/[1].

أما الآيات /١ -٥ و ١٢ و ٣٦و ١٢٣ /من سورة التوبة (البراءة)؛ فقد كانت سيرة الرسول (ص) حتى قبل نزول سورة التوبة تطلب منه ألاَّ يقاتل إلا من قاتله، فلا يقاتل من تنحى عنه واعتزله:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن - المجلد الثاني ج٢ ص ٦٠ وما بعدها، مجلد ٧ ج٨ ص ٣٧٤ وما بعدها، مجلد ١٩ ج٢٨ ص ٢٣٤ وما بعدها - مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد الأول ج٢ ص ١٣٨ وما بعدها - المجلد الثالث ج٨ ص ٢٢٩ وما بعدها، - تفسير الصافي ج١ ص ٢٠٩ وما بعدها - ج٢ ص ١٦٩ +ص ٣١٣+ ص٣٢٥ وما بعدها.

﴿.. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]

حتى نزلت سورة براءة، وفيها الأمر بقتل المشركين: من اعتزله ومن لم يعتزله، إلا الذين قد عاهدهم الرسول(ص) ، يوم فتح مكة منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، إذ أعطوا فرصة أربعة أشهر، فبعث الرسول(ص) الإمام علياً (كرم الله وجهه) ليبلغ الناس بأربع:

(لا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع المسلمون بالمشركين بعد عامهم، ومن كان بينه وبين رسول الله(ص) عهد فهو إلى عهده، وإن الله ورسوله بريئان من المشركين.

ومن الواضح من مجمل آيات سورة التوبة أنها نزلت تحديداً في أمر الرسول(ص) وأصحابه وأتباعه بمقاتلة المشركين حيثما يُعثر عليهم، بعد إعطاء المشركين مهلة أربعة أشهر أملاً بتوبتهم، وإن لم يتوبوا فقتلهم واجب على الرسول(ص) وأتباعه، لأن هؤلاء يمثلون القلة القليلة الباقية من المشركين، وهم رأس الفتنة والكفر، والفتنة أشدُّ من القتل، وإن هذا الأمر الإلهي يقتصر على الرسول(ص) وأتباعه في مرحلة زمنية معيَّنة، ولا ينطبق هذا الأمر على باقي المسلمين في الأزمان اللاحقة[1].

واقتصر القتال كحالةٍ جهاديةٍ، دفاعاً عن النفس، أو لطرد غاصب، أو مستعمر، أو لإغاثة ملهوف.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن مجلد ٩ ج ١٠ ص ١٤٦ وما بعدها - مجمع البيان في تفسير القرآن مجلد٣ ج١٠ ص ٧ وما بعدها - تفسير الصافي ج٢ ص ٣١٨ وما بعدها.

إلا أنَّ بعض رجال التكفير الديني فهموا وفسَّروا هذا النصّ القرآني على أن أمر قتال المشركين، مستمرٌ إلى يوم القيامة، واتهموا أكثر من ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية بالكفر والشرك، وأصدروا فتاوى تكفيرية بحقهم، واتخذوا هذه الفتاوى التكفيرية ذريعة لتجييش الجيوش لقتال غير المسلمين في بلدان العرب أو في بلدان أخرى، سواء كانوا منِ أهل الكتاب (مسيحيين أو موسويين)، أو من غير أهل الكتاب، لإجبارهم بحدِّ السيف على اعتناق الإسلام.

وإن القتال في الإسلام كحالةٍ جهادية نشهده اليوم في أصدق صورةٍ تمثلت في قتال العرب المسلمين إلى جانب إخوتهم العرب المسيحيين لطرد الجيوش الأوروبية التي سمَّاها البعض (الحروب الصليبية)، عندما اجتاحت المنطقة العربية ووصلت إلى القدس الشريف.

وثمَّةَ حالةٍ قريبة زمنية منَّا تمثّل حقيقة جهادية صادقة، هي حالة حزب الله في لبنان، فقد قاتل رجال هذا الحزب لطرد الصهاينة من لبنان الشقيق، ولم يعتدوا على أي شخص يهودي غير مجيش.

ويضاف إلى ذلك حالياً المجاهدون الوطنيون في فلسطين والعراق الشقيقين.

النصوص القرآنية الجهادية

قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]

﴿فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]

الجهاد: لغةً: من فعل جَهَدَ في الأمر جدَّ وتعب فيه وجَهِدَ عيشه يجهد جهداً نكد واشتدَّ وأجهد الشيب كثر وأسرع والأرض برزت وظهرت والحق ظهر ووضح وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً قابله في تحمُّل الجهد أو بذل كل منهما جهده في دفع الآخر والجهاد مصدر جاهد وهو القتال محاماة عن دين الحق، والمجاهدة عند الصوفية بذل النفس في رضى الحق. (محيط المحيط ص١٣١).

اصطلاحاً دينياً: هو بذل النفس والمال في سبيل الله.

في الآية /٦/ من سورة العنكبوت:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾

جاء الخطاب الإلهي إلى الذين آمنوا وصدَّقوا الرسول محمداً(ص) ، بما أنزله الله عليه من القرآن الكريم، بأن يجاهدوا ويصبروا على أذى المشركين، وفي صبرهم هذا نجاة لهم.

وحذَّرهم من أن يعتبروا عذاب المشركين لهم كعذاب الله لهم، إن ارتدُّوا عن إيمانهم، بدليل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]

فالمجاهدة هنا هي مجاهدة النفس في الصبر والمجاهدة[1].

أما ما جاء في الآية /٩٥/ من سورة النساء:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فإن التفضيل الإلهي للمجاهدين على القاعدين المتقاعسين عن الجهاد درجة هو نوع من الترغيب والتحريض على الجهاد مع الرسول(ص) ضد المشركين، فحكمة وعدالة الباري عزَّ وجل موجودة في كل حرف من حروف القرآن الكريم.

وقد استثنى سبحانه أولي الضَّرر، وهم من لم يستطيعوا لجهاد لأسباب منها العمى أو المرض أو الشلل، وهؤلاء لو كانوا قادرين على الجهاد لجاهدوا والله يحاسب في عمل الخير على النيَّات.

---

(١) الميزان: المجلد ١٦ ج٢ ص ٩٨-٩٩- مجمع البيان المجلد ٥ ج٢٠ ص ٣٤٠ - الصافي المجلد ٤ ج٢ ص ١١١ -١١٢.

هـذه الآيـة تخـصُّ الرسـول(ص) وأتباعـه، ولا تتصـرف إلى غيرهـم، وخاصة بعد وفاة الرسول(ص) "[1].

أما ما جاء في الآية (٣١) من سورة محمد:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

يعني الاختبار والامتحان بالمجاهدة والصبر والأعمال الصالحة للذين قالوا:

أسلمنا، ولم يقولوا آمنا، فبعضهم أسلم أمام رسول الله(ص)، ونطق بالشهادتين، ولكنه عادى الأقرب إلى رسول الله طاعة وخلوصاً للدين وهو الإمام علي (كرم الله وجهه)"[2].

أليس سيف عليّ (ذو الفقار) هو سيف الله ورسوله(ص)، في سائر الوقائع التأسيسية؟؟!!

أليس هو زوج فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها؟ وهو والد سبطي رسول الله(ص) سيِّدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وريحانتي كرسيّ عرش الله، وهو أخُ الرسول(ص) في كلِّ البيعات والهجرات النبوية، وهو فادي الرسالة والرسول يوم الفراش، وهو باب مدينة علم رسول الله (ص) وفقيه وقاضي المسلمين بعد وفاة الرسول(ص) بحسب الحديث المأثور:

---

(١) الميزان: المجلد٥ ج٥ ص ٤٥-٤٦ - مجمع البيان المجلد ٢ ج٥ ص ٢٠٣- الصافي المجلد١ ج٥ ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) الميزان المجلد ١٨ ج ٢٦ ص ٢٤٣- مجمع البيان المجلد ٦ ج٢٦ ص ٤٥-٤٦ - الصافي المجلد ٥ ج٢٦ ص ٣٠.

«أقضاكم عليّ»؟!

ألم يقل العلي الأعلى فيه وبآل بيته:

﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

حين الأمر زمن الرسول(ص) هو رؤية الإسلام للحياة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]

أليس هو وآل بيته أهل العباءة وعترة نبي الله ورسوله(ص) ؟!

أليس هو المباهل مع الرسول(ص) والسبطين والزهراء – باتفاق سائر الرواد؟!

- هل يوجد مسلم مؤمن يكره الإمام علياً وآل بيته ويشتمهم ويكفّرهم ويكفر أتباعهم؟!

- أليس ساعدا الإمام علي اللتين فتحتا باب حصن خيبر وسيفه الذي عمل في رقاب اليهود التلموديين المارقين؟

- أليس الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه) من قال وباتفاق الرواد:

(لو لا عليٌّ لهَلِكَ عُمر)؟

إن التلموديين لم يكرهوا شخصية على وجه الأرض، كما كرهوا نبوخذ نصر والإمام علياً لأنهما كانا الدرع الحصين للإنسان الحرّ (من الكنعانيين سابقاً ومن أحفادهم في جزيرة العرب لاحقاً) المحبط بآنٍ معاً لأطماع السطويين قطاع الطرق ومخططاتهم التآمرية لإطفاء نور الحق.

أما قوله تعالى في الآية /٥٢/ من سورة الفرقان:

﴿فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

فالخطاب الإلهي فيها موجَّه إلى الرسول(ص) بأن يصبر ويصابر ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله وتثبيت دين الحق، والضمير في(به) إن كان عائداً إلى القرآن الكريم يكون المعنى: يا محمد اتلُ عليهم آياتنا، وبيِّن لهم طريق الباطل، وإن القرآن هدى ونور ورحمة للعالمين[1].

-ما جاء في الآيات (٤١و ٤٢و ٧٣) من سورة التوبة.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[41] لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤١ -٤٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]

(١) الميزان المجلد ٥ ج١٩ ص ٢٢٨ -مجمع البيان المجلد ٥ ج١٩ ص ١١٦- الصافي المجلد ٤ ج١٩ ص ١٩.

نجد الخطاب الإلهي في هذه الآية واضحاً وموجهاً إلى الرسول(ص) وأتباعه لمواجهة المشركين في غزوة تبوك والآية /٤٢/ من السورة نفسها فيها تعيير وذم للمنافقين المتخلفين عن الخروج مع النبي(ص) ، بدليل قوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

والبيان مسوق لإظهار كذب المنافقين[١].

أما الآية /٧٣/ من السورة نفسها؛ ففيها ذلك التأكيد الإلهي إلى نبيه ورسوله محمد(ص) للجهاد بكل سبله من جهاد القلب واللسان والقتال.

وهذا الأمر موجه أيضاً إلى إتباع الرسول(ص) ، ومرتبط بظرفين زماني ومكاني، هما:

١ - وجود الرسول(ص) حياً قائماً بالدعوة.

٢ - بالمكان مكة المكرمة، وبالتالي لا يستطيع أن يحتج به المسلمون بعد وفاة الرسول(ص) وقتالهم غير المسلمين عرباً كانوا أم غير عرب باسم نشر الإسلام[٢].

(١) الميزان المجلد ٩ ج ١٠ ص ٢٤٧-٢٤٨- مجمع البيان المجلد ٣ ج ١٠ ص ٦٧- الصافي المجلد٢ ج١٠ ص ٣٤٥.

(٢) الميزان المجلد ٩ ج١٠ ص ٣٣٩- مجمع البيان المجلد٣ ج ١٠ ص ١٠٠- الصافي المجلد٢ ج ١٠ ص ٣٥٨.

كَفْرَنَةُ النص القرآني وَرَهْبَنَةُ السلوك الإسلامي.

لا يقتصر تزوير النص القرآني على الإضافة أو الحذف أو إبدال حرف أو كلمة، بل يشمل أيضاً التفسير الخاطئ المقصود أو غير المقصود للنص القرآني، وحتى لا يكون للناس حجة على الله ورسوله يوم الحساب بادعائهم أنهم اجتهدوا وفسروا النص القرآني، كما علموا وفهموا خدمة للدين وللمسلمين وبحسن نية، فقد بيَّن الخالق العليم الحكيم أن النص القرآني ظاهره أنيق وباطنه عميق، وهو السهل الممتنع، ولا يعرف تأويله إلا الله والراسخون في العلم، والآخرون هم آل بيت الحكمة والنبوة، وهم مفتاح علم رسول الله(ص) وباب مدينته، كما قال الرسول(ص) :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»، ولا خلاف بين المذاهب الإسلامية كافة على قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

وبناءً على هذا الحديث النبوي فإن المقصود بـ ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل بيت رسول الله(ص) ، ولم يرد عن آل بيت النبوة جميعاً تفسير أو تأويلٌ تكفيريٌ لنص قرآني واحد، ولم يقولوا:

إن تأويل ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود كما لم يقولوا:

إن تأويل ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ هم المسيحيون.

على أي أساس أو على أية معلومات استند الشيخان الفاضلان الجلالين الجليلان -سامحهما الله- في تفسير ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ باليهود والمسيحيين؟!!!

وللأسف؛ يلجأ بعض المفسِّرين إلى الاحتجاج بهذا التفسير الخاطئ التكفيري، وكأنه لا يوجد تفسير للقرآن الكريم على وجه الأرض إلا هذا التفسير.

وربما لبعض هؤلاء مآرب ليست نظيفة في تعلقهم بهذا التفسير والوقوف عنده.

ونُذَكِّرُ القارئ الكريم أنه لا يجوز أن نعامل القياس في مسألة شرعية ونستخدم هذا المنهج في تفسير النص القرآني؛ لأن القرآن كلام الله جلَّ جلاله، والمسألة الشرعية مسألة بشرية مختلف عليها، وأين كلام الله من كلام البشر!؟

هذا التفسير التكفيري للنص القرآني أوجد حالات عدائية سادية وحشية لا إنسانية، وقسَّمَ عُرى الحب والتآلف والأمن والأمان بين الطوائف الدينية وحتى بين المذاهب في الطائفة الواحدة، مما أدَّى إلى خلق عقلية إرهابية مجرمة في نفوس أتباع هذه التفاسير التكفيرية الهدَّامة.

ومما زاد الأمر سوءاً أن هذه الجماعات التكفيرية الإرهابية وجدت من يرعاها ويحتضنها في دياره، ويمدّها بالمال والسلاح والمعلومات ويساعدها في التخطيط والتنفيذ لأعمالها الإجرامية.

هذه العمامات الدينية التكفيرية (الإرهابية)، بدءاً من مؤسس هذه المدرسة وأتباعها، كان حاملوها ورقة رابحة وعبيداً أقزاماً بيد التلموديين ومعسكراتهم.. وما يزالون يحركونهم مثل الدمى في أي بلد عربي أو إسلامي أو غير إسلامي، حسب الظروف والأحوال، بقصد دَبٍّ الفوضى والرعب، وخلق حالة اللاأمان من اغتيالات وتفجيرات واعتداءات وسلب ونهب.

هذه المدرسة التكفيرية أنتجت حالتين:

حالة عالمية:

أعطت دولاً كثيرة فكرة خاطئة.

خلاصتها:

إن الإسلام والعرب أناس متوحشون رعاع لا أمن لهم ولا أمان، وأنهم غير قابلين للتطور والتحضر، لأن الإسلام دين القتل والإجرام والتفريق.

حالة داخلية:

أوجدت اتجاهاً يدعي أنه مدرسة إسلامية أصوليةٌ، والحقيقة أن الإسلام (السلام) منهم بريءٌ، لأنه اتجاه لا دينيٌّ ولا إنساني ولا أخلاقي، خلق حالات الشقاق والكره والاقتتال الطائفي وحتى المذهبي بين العرب والمسلمين، وكاد أن يفكك الوحدة العربية والوحدة الإسلامية وحتى الوحدة الوطنية، وزاد من تكريس الفكرة الخاطئة التي سُميت بالحالة العالمية.

فالسؤال الذي يطرحه العقل العربي المسلم الواعي:

مَنْ المستفيد من عقائد وفكر هذه المدرسة التكفيرية المارقة على الدين والدنيا؟!

أليس المطلوب من رجالات الدين المؤمنين، في الدول العربية والإسلامية، القيام بواجبهم الديني، كما أراده الله، في نبذ هذه العقائد الفاسدة، وتحسين خطابهم الديني، وفق الخطاب القرآني، الداعي إلى الحوار بالحسنى، والتسامح والمحبة والتعايش بسلام، وإعطاء الصورة الصافية الحقيقية عن الإسلام والمسلمين في عيون الآخرين؟!

قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]

لماذا التقصير أيها السادة الأفاضل؟! أيها المؤسسون لجيلٍ مُعانٍ له ما بعده؟!

نرجو المزيد من الجهاد في نشر الكلمة الطيبة وفق المنهج القرآني الكريم.

أيها السادة الأفاضل رجالات الدين المؤمنون، أنتم وأتباعكم المؤمنون من ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

ألستم أمة الرسالات السماوية الهادية، التي تنطلق من الإنسان الواحد؟؟

أليس أولئك الذين يتخذون الدين أحجار شطرنج يتقاذفونها حسب أهوائهم ومصالحهم، غايتهم أولاً وأخيراً القضاء عليكم وعلى هذا الدين الحنيف؟! دين العدل والتسامح والإخاء، فإلى متى يبقى هؤلاء المقامرون يسرحون ويمرحون ويخربون في نفوسكم ونفوس أتباعكم ويتآمرون عليكم وعلى مصالحكم؟!

أخلاقية القتال في الإسلام

قال تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

حديث نبوي: سُئِلَ رسول الله(ص) أي الإسلام خيرٌ قال :

«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (ص بخاري ج١ الحديث ٢٩ ص ١٩).

قال(ص) :

«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» (ص بخاري ج٢ حديث ٢٩٩٥ ص ١٠٦٩).

قال الإمام علي (كرم الله وجهه) لعسكره قبل لقاء العدو في صفين:

(لا تقاتلوا حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم فإن كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا مِعْوِراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس... وإن كنا لنؤمر الكف عنهن..) (كتاب ١/١٤ -٣ ص ٨٦).

وقال (كرم الله وجهه) إلى عماله في الخراج:

(ولا تمسُّنَّ مال أحد من الناس مُصلٍّ ولا معاهدٍ) (كتابه رقم ٥/٥١ ص ٩٧).

قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)؛ يوصي قادة جيوشه وعسكره:

(لا تخونوا ولاتغلوا ولا تمثلوا ولاتقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم إليه).

العهدة العمرية: للخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وخلاصتها:

عندما فُتحت القدس في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قابله رئيس رجالات الدين المسيحي وسلمه مفاتيح القدس وطلب إليه أن يصلي داخل المسجد فأبى الخليفة عمر (رضي الله عنه) وقال:

«لو صليت داخل بيت المقدس لجعلها المسلمون مسجداً للمسلمين»؛ فخرج وصلى أمام مسجد بيت المقدس وترك المسيحيين على دينهم وأعطاهم الحرية الكاملة والعهد على أنهم عرب مسيحيون من أهل الكتاب.

الآيات القرآنية والنصوص التي أوردناها واضحة ولا داعي لشرحها وبيان معناها نعم إن هذه هي أخلاقية الحرب والقتال في القرآن الكريم.



الفصل الثاني
الارتداد عن الدين

مفهوم الارتداد:

لغةً: الارتداد عن الشيء، بمعنى الرجوع عنه.

شرعاً: ارتدَّ عن دينه؛ بمعنى هو الذي يكفرُ بعد الإيمان.

ومفرده: مرتدٌّ، ومرتدَّة. محيط المحيط ص ٢٣٠.

فكل إنسان، يتبع ديناً سماوياً، يترك هذا الدين، لأسباب يراها، يُسمَّى مرتدَّاً.

النص القرآني في الارتداد:

قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧][1].

(١) الميزان في تفسير القرآن، المجلد ٢، ج٢، ص ١٦٧ وما بعدها – مجمع البيان – ج١، ص ١٩٩ – تفسير الصافي – مجلد١، ج٢، ص ٢٢٧.

قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤][(١)].

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]

حكم المرتد في القرآن الكريم:

هذه الآيات القرآنية الثلاث واضحة المعنى، وليس فيها غموض، وقد أجمعت معظم تفاسير القرآن الكريم على أن المرتدّ عن الإسلام، من بعد إيمانه، جزاؤه جهنم وبئس المصير.

بمعنى؛ أن صاحب الحساب الوحيد في السماوات والأرض، هو الخالق الرقيب الحسيب، وحده لا شريك له، وإن زمن الحساب، هو يوم القيامة، بدلالة النصّ القرآني:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

ولا يوجد نص قرآني آخر، يفوّض جلَّ جلاله بموجبه أحداً من خلقه، بعد وفاة الرسول(ص) بقتل المرتدّ، وإنما أمره إلى خالقه، وعقابه يوم القيامة.

---

(١) الميزان مجلد ٦، ج٦، ص ٣٨٥ وما بعدها – مجمع البيان – مجلد ٢، ج٦، ص١٢٢ وما بعدها – تفسير الصافي – مجلد ٢، ج٦، ص ٤٢.

الحديث النبوي في حكم المرتد:

نُسِبَ إلى الرسول(ص) حديثين في حكم المرتدّ، والله أعلم.

الحديث رقم/ ٢٨٥٤/ قال الرسول(ص) :

«من بدل دينه فاقتلوه» (ص بخاري جزء٢، ص ١٠١٣).

الحديث رقم /٦٥٢٤/ قال الرسول(ص) :

«من بدَّل دينه فاقتلوه» (ص بخاري، ج٤، ص٢٣٧٩).

لم يرد في صحيح مسلم هذا الحديث إطلاقاً.

ومن المتفق عليه بين كافة علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وعلى اختلاف مذاهبهم، أن الرسول(ص) جاء مُبشّراً ونذيراً ومُبلّغاً لكلمات ربّه نصّاً ومعناً، فهو الأمين الصادق على تبليغ الرسالة السماوية (القرآن).

بدليل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى[٣] إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ -٤]

ولم يرد في السيرة النبوية لابن هشام، أو السيرة النبوية الحلبية، وكذلك في كافة الأدبيات الإسلامية الصادرة عن آل البيت (عليهم السلام) أو عن غيرهم من الصحابة والتابعين الصالحين (رضوان الله عليهم جميعاً)، أن الرسول(ص) أحَلَّ ما حرَّمه الله، أو حرَّم ما حلّله الله، أو نَسَبَ هو إليه أمر الثواب والعقاب في الدنيا؛ بل جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتُبَيِّنَ لنا أحكام الدين الحنيف، كما أراده الله، وليس ليضع أحكاماً تشريعية تخالف النصّ القرآني.

وبما أنَّ هذا الحديث المنسوب إلى الرسول(ص) لا يوجد سندٌ له في القرآن الكريم، وإنما هو يخالف قوله تعالى في الآيتين: ٢١٧ البقرة – ٥٤ المائدة.

فهذا يعني بكل تأكيد؛ أنَّ هذا الحديث منسوب إلى الرسول(ص)، وأنه (ص) لم يقله إطلاقاً.

وبرأينا:

إن هذا الحديث قد وُضِعَ بعد وفاته (ص) ، وذلك للحاجة إلى عذرٍ شرعيّ، لقتال بعض القادة المسلمين لغيرهم، بصرف النظر عن النيّة في القتال أو القتل.

فالإيمان والكفر؛ حالتان إراديتان حرّتان، لا جبر ولا إكراه فيهما؛ قال تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وقال:

﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

وقال:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ[7] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ –٨]

المؤمن؛ ثوابه على الله. والكافر؛ عقابه على الله.

سواء أكان الإيمان بعد الإيمان أو بعد الكفر.

وسواء أكان الكفر بعد الكفر أو بعد الإيمان.

وأتوجه بكلِّ إجلالٍ وإكبار، إلى رجالات الدين الإسلاميّ الأفاضل بكل طوائفه ومذاهبه، أن يُعيدوا النظر في الأحاديث النبوية، التي تخالف النصّ القرآني، ويصنِّفُوها ويلغوها من مجموعة الأحاديث النبويّة الشريفة المتفقة ونصوص القرآن.

وهذا في اعتقادي، يعيد إلى الإسلام وجهه الإنسانيّ الحضاريّ، ويوحدُ الاتجاه الإسلامي، وِجْهَةٌ يرضاها الله سبحانه تعالى ويرضاها الناس أجمعين.

رأينا

بعد استعراضنا لكافة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية السابقة الذكر نقول:

إن القرآن الكريم خالٍ من أي نص تكفيري، ولم يتضمن ما يحضُّ إكراهاً على نشر الإسلام بحدِّ السيف بعد أن يُتوفّى الرسول(ص) بالقوة والإكراه والسلب والنهب.

قال تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥]

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]

فالإيمان والكفر حالتان امتحانيتان للإنسان لا إكراه فيهما، لأن الخالق الحكيم خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهو العقل، وجعل له لساناً ناطقاً.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ[٨] وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ[٩] وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ -١٠]

وصبغه على الفطرة الحسنة:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨]

وهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]

وبعد ذلك، فكل إنسان مسؤول عن عمله في هذه الدنيا، ولا يحاسب أحد عن أحد، ولا يفيد مال ولا بنون ولا سلطان:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ[٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ -٨]

ولولا أنَّ الكفر والإيمان حالتان امتحانيتان للإنسان، لما كان للجنة والنار وليوم القيامة معنىً ولا لإرسال الأنبياء والرسل في الكتب المقدسة.

ولما كان إرسال محمد(ص) رحمة للعالمين كافة كما يقرر الله عز وجل في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

ولما كان أَمَرَهُ له بأن يعلم الناس حسن الجوار:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]

لا بجدال الإكراه والقوة ولا بجدال العنف والقتل والتفجير ولا القنابل والطائرات والأسلحة الفتاكة سواءً الذكية أو غير الذكية!!؟

ولما كانت دعوته لنبيه محمد(ص) أن يكون لطيفاً حلو اللسان مع الناس:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

بل يدعو العلي الأعلى الإسلام كافة إلى قتال من يقاتلهم في دينهم أو عرضهم أو أرضهم أو مالهم بدليل قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]

إن القرآن الكريم دعا إلى المحبة والتسامح وحسن الجوار على لسان رسوله الأمين محمد(ص) ، وإن تعدد الشعوب والقبائل واللغات على هذا

الكوكب الجميل هو حكمة من رب العالمين، وفي ذلك رحمة للبشر كافة وأمر الله البشر أن يتعاونوا ويتحابوا لا أن يتفرقوا ويتقاتلوا وإن أفضل البشر عند الله هو الإنسان المتقي العاقل الفاعل للخير وليس الأفضل بالعرق أو الجنس أو اللغة قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]

فالإنسان هو أخُ الإنسان وفق المنهج القرآني بصرف النظر عن دينه ومعتقده وجنسيته وجنسه، والمسلم هو من قال:

(أشهد أن لا إله إلا الله)، وهو من سَلِمَ الناس من يده ولسانه.

فمن يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأن موسى رسول الله.

ومن يقول:

أشهد أن عيس المسيح رسول الله.

ومن يقول:

أشهد أن محمداً رسول الله؛ إنما شهد شهادة صادقة وصحيحة ولا يستحق أن يُنظر إليه أيُّ نظرة عدائية.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]

ألم يؤنب رسول الله(ص) خالد بن الوليد وأسامة بن زيد على قتل كل منهما لمن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، عندما وجدوا السيف فوق رؤوسهم فالأعمال الإيمانية بالنيات وليست بالحركات، والمشروع هو عدم تجاوز حدود حرية الاتجاه الإنساني..

أما ما زاد عن حده فهو ينقلب إلى ضده، بمعنى أننا يجب أن لا نكون مسلمين أكثر من محمد(ص) وإلاَّ لأَدْخَلَنَا ذلك دائرة النفاق.

ويجب أن لا نكون موسويين أكثر من موسى أو مسيحيين أكثر من المسيح.. أستغفر الله جلَّ وعلا.

أليس في الإسلام مؤمنون ومنافقون؟ وكذلك الحال بين المسيحيين والموسويين، وفي بقية شعوب الأرض التي تدين بأديان أخرى إلى إله السماء بشكلٍ ما تحت عنوان الصابئة؟!!

ألم يُنزل الله التوراة هدى ونوراً؟!!

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ[٤٤] وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ

النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ[٤٥]﴾ [المائدة ٤٤ -٤٥].

ألم ينزل الله الإنجيل كذلك هدىً ونور؟!!

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]

وقال تعالى:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ[٣] مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٣ -٤]

الخلاصة:

إن التكفير عقيدة فاسدة خارجة عن الشرائع السماوية كافة وخارجة عن دائرة الإنسانية ومكارم الأخلاق جميعاً، ولا يوجد كما أثبتنا نص تكفيريٌّ واحد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وما هذه الحركات التي تسمى بالأصولية التكفيرية إلا حركات سياسية، ارتدت ثوب الإسلام أو غيره من الثياب الدينية، غايتها تفريق الأمم العربية والإسلامية، وزرع بزور الشقاق والكره والتخلف، وتنفيذ المخططات الخارجية المعادية للعرب والمسلمين، سواء عن طريق تنظيم معادٍ أو أي شكلٍ آخر من الانحراف، وهي حركات مرتبطة أولاً وأخيراً بالماسونية اليهودية التلمودية العالمية وإن العرب والمسلمين وسائر الرسالات السماوية الحقّة منها براء.

الفصل الثالث
التكفير في السنة النبوية

تعريف السنة النبوية:

هي كل ما صدر عن الرسول(ص) من قولٍ أو فعلٍ.

شخصية الرسول(ص):

هو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الله.

وُلِدَ من أسرةٍ هاشمية إسماعيلية إبراهيمية موحِّدة، تؤمن بالإله الواحد، لا تعرف الكفر ولا الشرك ولا الشّك، ولم تَسْجُد لِصنَم.

انبعث من صلب طاهر في رحم طاهر، وترعرع في كنف أسرته الهاشمية المؤمنة الموحِّدة على الصدق والأمانة والتقوى.

قال تعالى فيه:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى[٣] إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ -٤]

فهو إنسان كامل، وهو نور من نورٍ، وهو اسم الله العليّ الأعلى، وقد ضمَّ الإله العظيم اسمه إليه ضمّاً لطيفاً بقوله تعالى في عدّة آيات من القرآن الكريم؛ نذكر منها:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم﴾ فهو اسم الله.

:﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَقْ﴾.

:﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُول﴾.

هذه الشخصية النبويّة الرسوليّة الطاهرة هي لسان الله على الأرض، لا تعرف الخطأ إطلاقاً، لا في بدايتها ولا في نهايتها، ولا يجوز أن نتهم هذه الشخصية الطاهرة الكاملة بالهجر أو الهزيّ (الجنون)، لأغراضٍ دنيوية رخيصة، كما فعل واتّهم اليهود سيِّدنا موسى عليه السلام .

الأحاديث النبوية في التكفير:

من خلال إطلاعنا على مجموعة الأحاديث النبويّة الواردة في صحيح بخاري وفي غيرها من الأدبيات الإسلامية، لم نعثر على حديث واحد يفيد أن الرسول(ص) كَفَّرَ من لم يُكَفِّرَهُ الله؛ بل كان لسان حال الله، ينطق بالوحي الإلهي؛ كما أمره مُرسِله بدون زيادة أو نقصان، وبدون تأويل أو تفسير خاطئ لكلمات الله.

أليس هو الصادق الأمين؛ كما سمّاه العليّ الأعلى؟!!

الأحاديث التي هي محل حوار:

الحديث /٤٢٥/؛ قال الرسول(ص) :

«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (ص بخاري ج ١ مسلم الحديث ٥٣١).

الحديث /٢٨٨٨/؛ عندما اشتدَّ به المرض يوم الخميس.

قال الرسول(ص) :

«ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً».

فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا هجر رسول الله(ص) .

قال(ص) :

«دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه».

وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة.

قال من قال:

إن جزيرة العرب، هي مكة والمدينة واليمانة واليمن..

تحليل الحديث الأول /٤٢٥/:

«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

اليهود: منهم الموسويون الذين آمنوا بسيدنا موسى عليه السلام وبرسالته التوراة وهم مؤمنون موحدون، وبالتالي لا يجوز لعنهم إطلاقاً؛ وهل يجوز لعن المؤمن المُوحِّد؟!!

اليهود: تضم فئة من المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر فهؤلاء أسوةً بالفئة المنافقة من أتباع سيدنا محمد(ص) ، أو بالفئة المنافقة من أتباع سيدنا المسيح عليه السلام ، أو.. فهذه الفئة ملعونة كافرة في كل عصر ومصر.

النصارى: إن كان المقصود بهم المؤمنون المُوحِّدون، [أنصارا] أتباع سيدنا المسيح عليه السلام ، فهذا الحديث كاذب ومسند إلى الرسول(ص) .

وإن كان المقصود بهم الفئة المنافقة فهذا الحديث صحيح.

لكن أن نأخذ هذا الحديث بمفرداته على ظواهرها فهنا الطامة الكبرى وهذا هو الكُفْرُ بعينه.

هل يجوز شرعاً وعقلاً أن نعمم ونضع المؤمن والكافر في خانة واحدة؟!

وهل يجوز أن يكون عقاب المؤمن والكافر واحداً؟! ما هذا الافتراء على الله ورسوله وعلى العقل والمنطق؟؟!!.

لقد نسي واضع الحديث ومن يؤمن بصحة هذا الحديث.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢]

وخلاصة القول:

إن هذا الحديث إما أن يكون حديثاً كاذباً ومسنداً إلى رسول الله(ص) زوراً لتعميم ألفاظه ومخالفته لنص قرآني واضح.

وإما أن يكون في متنه نقص بالكلمات كأن يقول الرسول(ص) ؛ لعنة الله على الفئة الضالة أو المنافقة من اليهود والنصارى والمسلمين؛ وفي ذلك صحة ومطابقة للنص القرآني الكريم.

الحديث الثاني /٢٨٨٨/:

نرى قولين:

القول الأول:

إما أن نؤمن بأن الرسول(ص) كان في مرضه بحالة هجر (جنون)، وأستغفر الله من هذا القول وأتباعه، وبالتالي فإن هذا الحديث بأكمله غير صحيح لأن المجنون شرعاً وقانوناً لا يُؤخذ عليه قولاً أو فعلاً.

وهذا الاتهام بكل الأحوال يخالف قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى[٣] إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ -٤]

وقوله تعالى:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]

وقوله تعالى:

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨]

ويجب أن لا ننسى أن هذا الاتهام لنبيه ورسوله(ص) يوصل النفس إلى الشك في الكثير مما قاله وفعله الرسول(ص) .. ونستغفر الله من مجرد التفكير بذلك.

القول الثاني:

لماذا نسي راوي هذا الحديث الوصية الثالثة وقد يكون فيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين وللإنسان عامة، ومن ظاهر الحديث أن الوصية الثالثة لن تكون أكثر من كلمات قليلة مع العرض بأن نفس الراوي روى عن الرسول(ص) أحاديث طويلة تزيد عن الصفحة ولم ينسَ منها شيئاً، وكي لا نظلمه ولا نطعن بأحد من رواة الحديث.

نقول:

لربما حذفت الوصية الثالثة من قِبل الغير لما فيها من ضرر سيلحق ببعض وجهاء قريش ومصالحهم الدنيوية، أو لربما أن هذا الحديث نُسب إليه لإجماع المسلمين على أنه راوٍ صادق، وأن الناس سيصدقون الحديث لمجرد أن الراوي فلان.. رضوان الله على جميع الرواة الصادقين.

مناقشة نص الحديث

ونرى في ذلك ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

إن كان المقصود بالمشركين من العرب، فلم يبقَ منها إلاّ نفر قليل من قريش وهم أصحاب المهلة الذين أعطاهم الله مهلة أربعة أشهر للعودة إلى البيت المحمدي الإسلامي، فإن لم يتوبوا فقتالهم وقتلهم واجب ديني لأنهم يمثلون أهل الفتنة والفتنة أشد من القتل، منهم:

سهيل بن عمرو – صفوان بن أمية وأتباعهما.

وفيهم قال تعالى في سورة التوبة:

﴿بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ[1] فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ[2] وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ

الْمُشْـرِكِينَ وَرَسُـولُهُ فَـإِنْ تُبْـتُمْ فَهُـوَ خَيْـرٌ لَكُـمْ وَإِنْ تَـوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُـمْ غَيْـرُ مُعْجِـزِي اللَّـهِ وَبَشِّـرْ الَّـذِينَ كَفَـرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٣] إِلَّـا الَّـذِينَ عَاهَـدتُّمْ مِـنْ الْمُشْـرِكِينَ ثُـمَّ لَـمْ يَنقُصُـوكُمْ شَـيْئًا وَلَـمْ يُظَـاهِرُوا عَلَـيْكُمْ أَحَـدًا فَـأَتِمُّوا إِلَـيْهِمْ عَهْـدَهُمْ إِلَـى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١ -٤]

وهـؤلاء قـد انتهـى منهم الإسـلام والمسـلمين، وبالتـالي يكـون نـص الحديث قد استوفى المقصود منه.

الاتجاه الثاني:

أن يكون المقصود بهذا الحديث اليهود والنصارى جميعاً؛ فقد بيّنا في الصفحات السابقة تحليل الحديث رقم /٤٢٥/؛ وبالتالي فإن المقصود هم الفئة الضالة من اليهود والنصارى؛ وكذلك المسلمين، لأن المؤلفة قلوبهم ذو الإيمان الضعيف، كانوا وما زالوا ومنهم من ارتدَّ عن الإسلام بعد وفاة الرسول(ص) ، كما فعل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وغيره قبله وبعده.

وبكـل الأحـوال فـإخراج هـؤلاء قـد تم بعـد وفـاة الرسـول(ص) في معارك وحروب عدّة، إن كان المقصود من تلك الحروب والمعارك هي إخراجهم.

وبالتـالي فـإن مفعـول هـذا الحـديث يكـون قـد انتهـى لتنفيـذ وصـية الرسـول(ص) بعد وفاته، ولم يعد لليهود والنصارى تواجد في الجزيرة العربية منذ تاريخ تلك الحروب والمعارك.

قد يسأل أحدهم ويحتجّ قائلاً:

هل انتهى الجهاد فيما إذا دخل محتلّ أرض تلك البلاد أو غيرها؟!

نجيبه بكل وضوح:

إن طرد المستعمر بصرف النظر عن دينه ومعتقده واجب ديني ودنيوي في كل زمان وفي كل مكان ومن حق شعوب الأرض جميعاً شرعاً وقانوناً أن تدافع عن أوطانها وسيادتها ومصالحها.

الاتجاه الثالث:

سبق وقلنا:

إن الجماعات التكفيرية المرتبطة هي دائماً من تترجم النص القرآني أو الحديث النبوي الصحيح أو المزوّر المنسوب إلى النبي(ص) وفق مصالحها وما هو مطلوب منها من قِبل قادتها المعروفين عبر التاريخ أعداء العرب والإسلام.. هؤلاء اليوم من يرددون قول حق يراد به باطل.

قوله تعالى:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]

وقوله تعالى:

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]

وقد بيّنّا أن هاتين الآيتين ليس المقصود بهما اليهود والنصارى،

وليس المقصود استمرار القتال إلى يوم القيامة، وإن المقصود بهما وقائع كانت على عهد الرسول(ص) وانتهت بوفاته(ص) .

وكذلك لم يحفظوا من الحديث الشريف إلا الحديث رقم /٢٨٨٨/ وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وكأن الرسول(ص) ، بهذا الحديث أجاز للمشركين الإقامة والسيطرة في بقية ديار المسلمين والعرب دون تمييز.

هؤلاء المكفّرون نسوا أهم وصية للرسول(ص) وحفظوا الوصية الأولى فقط وفسَّروها تفسيراً خاطئاً.

نعم إن المُكَفِّرِينَ هم المرض العضال في الجسد الإسلامي، وهم من يعطي أعداء الإسلام والعرب فكرة لا إنسانية ولا أخلاقية عن الإسلام والمسلمين العرب؛ وهم من يقتل الأبرياء، وهم من تربى في أحضان المدرسة التلمودية الشريرة، وهم من سهَّل الطريق وفتح الباب على مصراعيه لاحتلال البلاد وقتل العباد وسلب الأموال وهتك الأعراض.

لماذا لم يتخذوا من حزب الله قدوة في صوابية الجهاد الإسلامي والتحرري!! ولماذا ولماذا؟؟!!..وما أكثر التساؤلات في أذهان العرب والمسلمين الصادقين الحضاريين في هذه الأيام.

وأخيراً نقول للسادة الأفاضل أهل الحوار الديني والتعايش بسلام:

إن النصوص الرسالية السماوية صادقة لا خلاف ولا اختلاف فيها.

وأرادها العلي الأعلى لوحدة الإنسان مع أخيه الإنسان بغية المحبة والتعاون والسلام الكوني.

وإن الاختلاف والخلاف في أدبيات معظم رجال الدين من كل طائفة ومذهب.

فابدؤوا أولاً بتنقية هذه الأدبيات من الأحاديث والروايات التكفيرية الكاذبة الهدامة اللا إنسانية، وفي ذلك خير لكم ولمعتقداتكم!.

الباب الرابع

التكفير المعاصر

الفصل الأول
المفهوم الجديد للتكفير

تمهيد:

للتكفير المعاصر عدة مفاهيم مطاطة، فهي غير منضبطة وزئبقية ولا تتفق وشرعة حقوق الإنسان، ولا مع العقل والمنطق، ولا مع مبادئ الأخلاق العامة، بل تخضع في تطور مفاهيمها إلى طبيعة العلاقات الدولية، من حروب ساخنة أو باردة، وإلى ظهور إمبراطوريات وقوى دولية كبيرة، إضافة إلى ظهور التكتلات الاقتصادية الضخمة وأساليبها الملتوية، في السيطرة على المواد الخام الأولية، اللازمة للصناعة كالبترول والمواد المعدنية والأسواق التجارية لتصريف بضائعها كل هذا يخلق أيضاً ثقافة جديدة وفكراً اجتماعياً جديداً، ويكون حينئذ الفكر السياسي خادماً والناطق الرسمي باسم تلك الحالة الدولية.

وبذا يمكننا تعريف السياسة بقولنا: هي لسان حال المصالح.

هذه المفاهيم المتعددة تندرج جميعها تحت اسم التكفير المعاصر، وسوف نتعرض لأنواعه ومفاهيمه كما نراه، وذلك لعدم وجود بحوث سابقة في هذا الموضوع، يمكن الاستفادة منها كمراجع لبحثنا هذا.

أنواع التكفير المعاصر

١ - التكفير السياسي

٢ - التكفير الاقتصادي

٣ - التكفير الثقافي

٤ - التكفير الاجتماعي

تعاريف وأمثلة:

أولا: التكفير السياسي

هو اعتبار كل فكر سياسي لا يتفق أو لا ينسجم مع فكر سياسي آخر، سواء أكان هذان الفكران في داخل بلد واحد أو كل منهما في دولة أخرى - فكراً سياسياً معادياً للفكر الآخر، وتصنيف أنصاره وأتباعه خصوماً بل أعداء لأتباع وأنصار الفكر الآخر، وتسويغ الاقتتال بينهما وأنه مشروع غايته القضاء على الفكر المعادي وأتباعه سواء أكان ذلك بالتصفية الجسدية أم السجن أم التشريد أو مصادرة أملاك الآخر أو تخريبها.

من أمثلة التكفير السياسي الداخلي:

وجود حزبين سياسيين أو أكثر في بلد واحد، فيقوم الحزب الأقوى بانقلاب ويستلم السلطة، ثم يشرع في تكفير الحزب المعارض أو الأحزاب الأخرى، متهماً إياها بأنها أحزاب رجعية متخلفة ومرتبطة خارجياً وغير قادرة على قيادة البلد وتحقيق آمال وأماني الشعب، وغير قادرة على تحقيق الوحدة أو غيرها من الأهداف أو النهج القدوة، وما إلى ذلك من تُهم.

إضافة إلى رفع شعارات براقة ظاهرها أنيق وباطنها الحكم بالقوة، ثم يعمد هؤلاء إلى ملاحقة قادة وأتباع الفكر الآخر، من قتل وسجن وملاحقات ومصادرة أموال منقولة وغير منقولة، بحجة أن ذلك يخدم الوطن والمواطن وضروري لاستمرار ما يُدَّعى أنه الثورة.

وغالباً ما يكون معلم وقادة وأتباع هذا الحزب منظرين ورجال سلطة ومسؤولين وبالتالي يشكلون طبقة عاطلة عن العمل وعالة على الدولة والمجتمع.

هذه الظاهرة أو هذا النوع من التكفير السياسي الداخلي نراه محصوراً في الدول المتخلفة أو النامية أو ما يسمونها بـ (دول العالم الثالث).

من أمثلة التكفير السياسي الدولي:

أبرز مثال عليه هو تكفير الفكر السياسي الرأسمالي للفكر السياسي الشيوعي الاشتراكي أو العكس ومحاولة كل منهما إظهار أن فكر الآخر غير إنساني وغير حضاري ولا يحقق الرفاه الإنساني والأمن والأمان والسلام الدولي، وأنه فكر متخلف، وسعى قادة الفكرين كل في دولته إلى القضاء على الفكر الآخر وقادته، وقد تمكن قادة الفكر الرأسمالي العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بالتحالف مع الصهيونية العالمية من القضاء على الفكر الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الاشتراكي وفي دول المنظومة الاشتراكية:

(رومانيا، بلغاريا، بولونيا، يوغسلافيا، تشيكوسلوفاكيا)؛ بل وعلى تقسيم الاتحاد السوفيتي نفسه إلى دويلات.

ولا يزال السعي جاداً ومستمراً في القضاء على كل الأحزاب الاشتراكية وغيرها من الأحزاب التي يمكن أن تكون عائقاً أمامهم في العالم.

ثانيا: التكفير الاقتصادي

هو نظام التحكم والسيطرة على اقتصاد الآخر، بوسائل غير مشروعة، من احتكار وغش وتدليس، ومنافسة غير مشروعة، وعقوبات اقتصادية، والتلاعب بالأسعار، عن طريق التحكم في حالتي العرض والطلب، وهذا النظام يُستخدمُ من قِبل الدول القوية، لإجبار الدول الصغيرة أو الضعيفة على اتخاذ موقف سياسي معين تجاه قضية محددة، وقد يكون هذا الموقف داخلياً أو خارجياً، أو لإتباع فكر سياسي مؤيد للفكر المُكَفِّر، وذلك لأهداف ومصالح دولية غير مشروعة.

من أمثلة التكفير الاقتصادي الداخلي:

تتجلى في عدة صور منها:

١ - أن يتحكم تاجر أو أكثر أو مؤسسة تجارية في دولة أو منطقة معينة باحتكار بعض المواد التموينية، بقصد رفع أسعارها، ضاربين عرض الحائط بمصالح العباد وحاجتهم الماسة لتلك المواد الغذائية الأساسية من (سكر وشاي ودقيق تموين و...إلخ) هذه الحالة التكفيرية

الاقتصادية كم تركت وكم تترك خلفها من مآسٍ لدى الطبقة الفقيرة التي تمثل أكثر من نصف المجتمع وخاصة بعد تَحَوُّل الطبقة الوسطى (المنتجة) في بعض دول العالم الثالث إلى الطبقة الفقيرة واندماجها بها، نتيجة احتكارات الطبقة الغنية غير المشروعة.

٢ - تسلط فئة معينة بحكم موقعها السياسي على مادة ذات طابع اقتصادي حيوي للمجتمع كالإسمنت واحتكارها ورفع أسعارها بما يترافق من ارتفاع أسعار الشقق السكنية مما يؤدي إلى اختناقات في حركة البناء وارتفاع قيمة الأجر الشهري للشقق السكنية ويصبح تأمين شقة سكنية في الوطن حلماً يراود أجفان معظم المواطنين، كما تتأثر بذلك الحركة الطبيعية لحياة الأجيال ونموها الديمغرافي والسكاني.

هذا الشكل من التكفير الاقتصادي الداخلي ينتج عنه كَرَدٍّ فعل تكفيريٍّ مضاد، يفضي إلى الكثير من المشاكل والمآسي الاجتماعية نذكر منها:

- قلة وقائع حالات الزواج وما ينتج عنها من زيادة نسبة (العنوسة بين البنات)، وما يترتب عن ذلك من آلام داخلية وأحزان لا توصف لهؤلاء الشباب والبنات ولأهلهم.

وهذا من أبشع صور التكفير الاقتصادي الداخلي، لأنه يلغي وجود طبقة كبيرة من المجتمع، ويربط وجود مساكن لهؤلاء الفقراء وسكنهم بحالة جشع مادي قذرة كافرة لذلك يشعر المواطن بالغربة في وطنه.

من أمثلة التكفير الاقتصادي الدولي:

يتمثل التكفير الاقتصادي الدولي في سيطرة الدول الصناعية الكبيرة على اقتصاد الدول الضعيفة أو الدول النامية، واستغلال ثرواتها الطبيعية ومواقعها الجغرافية الهامة دولياً، وجعلها أسواق تصريف لمنتجاتها المختلفة، وفق الأسعار التي تفرضها، بقصد تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح، إضافة إلى لجوء الدول القوية الكبيرة إلى فرض عقوبات اقتصادية على بعض الدول، أو إلى الاستعمار المباشر إن لزم الأمر، كما حدث مؤخراً من احتلال الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للعراق بقصد السيطرة على أكبر مصدر للبترول الخام في العالم، وتغيير بنية النظام العراقي، على الأقل نظرياً من نظام اشتراكي إلى نظام رأسمالي موالٍ لهما.

وفي هذه الحالة تلجأ الدول القوية إلى حجج واهية وأكاذيب مضللة وتُهم باطلة، كالادعاء بوجود أسلحة نووية أو جرثومية في الدول المراد غزوها، أو اتهام تلك الدول بأنها مقر للإرهابيين وقاعدة لهم، أو أنها تساندهم وتدعمهم مادياً ومعنوياً.

وبموجب هذا التكفير الدولي تبيح هذه الدول القوية قتل الآخر وهتك عرضه وسلب أمواله أسوةً بالفتاوى التكفيرية الدينية التي كانت سائدة في القرون الوسطى والتي ما تزال آثارها تساند المواقف السياسية ذات المصالح الاقتصادية.

وهكذا يكون التكفير الديني والتكفير المعاصر وجهان لعملة واحدة، تلتقي فتوى مؤسس المدرسة التكفيرية الإسلامية مع فتوى بوش الثاني لأن كلتا الفتويين وقعتا على العرب والمسلمين ومصالحهم ووحدتهم. وما بوش الثاني ورجال الدين التكفيريين وأمثالهم في الحقيقة إلا في خندق واحد.

ثالثا: التكفير الثقافي

هو النظر إلى فكر الآخر نظرة دونية وأنه فكر متخلف وغير منسجم مع الحداثة والتمدن، ومحاولة أصحاب الفكر المُكَفَرِّ إلغاء الفكر المُكَفَّر وتشويهه والعبث به من طريق التزوير والتحريف والتفسير الخاطئ والتشهير به والعمل على تخريب هذا الفكر بشتى الطرق وإلغائه بقصد إحلال فكر آخر محله.

من أمثلة التكفير الثقافي الداخلي:

قيام مجموعة ممن يتسترون بشعار الدين ويدَّعون أنهم علماء دين وفقهاء بتشويه الفكر الإسلامي القرآني والنبوي؛ مفسرين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تفسيرات فيها افتراء على الله عز وجل ورسوله(ص) وانتحالهم أحاديث كاذبة زاعمين نسبتها إلى الرسول(ص) وتشريعهم سنناً وأحكاماً شرعية خارجة عن الشرع الإلهي، وإصدارهم فتاوى تكفيرية عدائية للاإنسانية، وكل ذلك بقصد وتدبير، بغية إعطاء فكرة مشوهة عن الفكر الإسلامي وثقافة المسلمين الإنسانية الراقية المسالمة.

وهذا ما حدث في الكنيسة بعد ارتفاع سيدنا مسيح الرحمة عليه السلام إلى خالقه العلي الأعلى، وكذا حدث في البيت الموسوي بعد وفاة سيدنا موسى كليم الله عليه السلام .

- وقد يحدث أن يُكَفِّرَ رجل دين متعصب محاوره العلماني فيتهمه بأنه كافر ضالٌ ومضلِّل وذو فكر خاطئ وبأنه مارق وزنديق، وهذا كله لأنه يعتقد أن الدين لله والوطن للجميع، وأن على المواطنين أن يتعايشوا في الوطن الواحد بمحبة وتسامح، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.

من أمثلة التكفير الثقافي الدولي:

إن مجموعة المعارف والقيم الثقافية للولايات المتحدة الأمريكية و المتمثلة في الفكر الرأسمالي الإمبريالي العالمي الذي يسعى جاهداً بكل الوسائل إلى تكفير الفكر الشيوعي والاشتراكي وكل فكر وثقافة تخالف وتتناقض مع ثقافته العولمية المعاصرة وما هي في الحقيقة إلا ثقافة سيطرة الاقتصاد والمصالح الأمريكية على العالم وثقافته واقتصاده.

ثقافة اللهو والعبثية والهزل وثقافة أفلام هوليود ومحلات الدعارة والمجون وثقافة اللامسؤولية، ثقافة اللاثقافة.

يقول المفكر أحد ضحايا التكفير الثقافي:

أعطني رغيفاً أُعطِكَ قصيدةً.

وتقول الإدارة الأمريكية:

أعطني خبزاً أعطِكَ جياعاً كثيرين.

ونقول:

أعطنا وردة نُعطِكَ حباً.

وتقول الإدارة الأمريكية:

أعطني قنبلة لأهدر لك دماً جديداً.

ونقول:

أعطنا كومة من الحجارة نقم لك بيتاً آمناً.

وتقول الإدارة الأمريكية:

أقرضني بعض مالِكَ لأهدم بيتكَ وأخرب حقلكَ.

ونقول:

ساعدنا أخي الإنسان لنصنع لك معروفاً.

وتقول الإدارة الأمريكية:

غداً سأقتل المروءة في نفس الإنسان.

ونقول:

أيها الإنسان نادني أخي وصديقي.

وتقول الإدارة الأمريكية:

سأقتلك أيها الإنسان الخير وأترك الأشرار أحراراً.

ونقول هذه هي ثقافتنا كما قلنا:

(خبز وحُبٌّ وأخوةٌ وتعاونٌ)

وتقول الإدارة الأمريكية:

هذه هي ثقافتنا كما قلنا: (عبثية وفوضى وقتل وسلب واستغلال واحتلال).

التكفير الاجتماعي

هو حالة تسفيه وتحقير وازدراء وضع اجتماعي قائم في مجتمع ما من قِبل مجتمع آخر، ووصمه بأنه مجتمع قبلي أو ريفي أو ديني أو فقير مادياً أو أن المجتمعات الأخرى ما هي إلا مجتمعات متخلفة ودونية ولا يحق لها العيش إلا كخدم وعبيد للطبقات الغنية الراقية.

من أمثلة التكفير الاجتماعي الداخلي:

١ - نظرة أبناء المدن نظرة دونية لا إنسانية للمجتمع الريفي وسكانه لأنهم فلاحون ونعتهم إياهم بالمتخلفين كقولهم عنهم:

إنهم لا يعرفون باب الصيدلية من باب السينما، ولا يعرفون رقص (الديسكو) ولا يرتدون آخر الصرعات في تصميم الأزياء ولا حتى معنى الأناقة بالنسبة للجنسين بمعنى أن مقياسهم في تقييم الحالة الاجتماعية لسكان الريف هو مقياسي شكلي وليس موضوعياً يقدِّرُ صفاء نفس ابن الريف وحسن استقباله الضيف وإكرامه المحتاج وإغاثته الملهوف وصدقه في علاقته مع الناس ومع حقله؛ بحيث تصير القرية أسرة واحدة، إلى ما هناك من قيم اجتماعية راقية في الوقت الذي لا يعرف الجار جاره في المجتمع المدني.

من أمثلة التكفير الاجتماعي الدولي:

ينظر المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع العمالي، على أنه مجتمع عبيد وأرقاء، خلقهم الله عز وجل ليكونوا عمالاً وخدماً لأصحاب رؤوس الأموال.

كما تنظر الإدارة الأمريكية نظرة دونية إلى المجتمع العربي والإسلامي، على أنه مجتمع اللّحى الطويلة والجلابيب القصيرة المنغلقة المتعصبة الإرهابية، المعادية للعلم والتحضر والتمدن والسلام الإنساني.

إلا أن النظرة الأكثر دونية، هي النظرة اليهودية التلمودية لكل البشر غير اليهود، على أنهم ليسوا مجتمعات إنسانية، بل تجمعات حيوانية، خلقهم الله بصورة بشر ليستأنس بهم اليهود أثناء استخدامهم إياهم بشكل أو بآخر.

الفصل الثاني
التكفير والتكفير المضاد (الفعل ورد الفعل)

إن الدفاع المشروع حالة إيجابية، وغالباً ما تصدر بشكل عفوي من الكائن المعتدى عليه، سواء أكان إنساناً أم حيواناً أو نباتاً.

ولكل مخلوق طرقه الخاصة في الدفاع عن نفسه وعن زوجه وأولاده وقوته ومسكنه.

وقد تتفاوت أشكال الدفاع قوة وضعفاً بين مخلوق وآخر، وذلك تبعاً لحالة المعتدى عليه وتبعاً لمدى جسامة الاعتداء أو بساطته أيضاً.

وقد أثبت العالم أن النباتات تدافع عن نفسها عندما تتعرض للعبث بها، فبعضها تضم أوراقها إلى بعضها وبعضها يفرز مادة سائلة لقتل الخصم أو لطرده بفعل الرائحة الكريهة لهذه المادة..

وكذلك الحيوانات، فكل منها يدافع عن نفسه غريزياً بالقدر الذي يستطيعه.

فمنها ما يدافع عن نفسه بأنيابه الفتّاكة (الوحوش الضارية).

ومنها ما يدافع عن نفسه بمخالبه الحادة (القطط وغيرها).

ومنها ما يدافع عن نفسه بمنقاره القاسي (الطيور).

ومنها ما يدافع عن نفسه بوساطة نفخه على الخصم مثل (الحرباء).

ومنها ما يدافع عن نفسه بقرونه مثل (البقر والجواميس والغزلان) أو بدفعه الخصم بأحد أعضاء جسده مثل:

الفيل مستعملاً (خرطومه).

ومنها ما يدافع عن نفسه بتقييد الخصم بشبكة من الخيوط مثل (العنكبوت).. ولله في خلقه حكم وعجائب.

إلا أن الإنسان هو المخلوق الوحيد العاقل الذي يعقلن حياته وفق نظام دقيق ومبرمج، فيعرف كيف يعتدي ومتى وأين ولماذا؟ ويعرف كيف يعالج الاعتداء الواقع عليه أو المحتمل وقوعه ومدى جسامته أو عدمه وكيف يعيد الحياة إلى طبيعتها بعد صراعه مع الآخر مع بيان الفارق أن حالات الاعتداء بين المخلوقات غير العاقلة هي حالات اعتداء فردية لا جماعية مثل افتراس ذئب لدجاجة أو قط لفأر من أجل البقاء.

أما حالة الاعتداء الإنساني فقد تكون بشكل إبادات بشرية جماعية.

وقد يشمل الحيوانات وتلف النباتات وهدم المنازل وخاصة مع ظهور التكنولوجيا المتطورة بما فيها الأسلحة الفتَّاكة المدمرة لكل شيء (نووي، هيدروجيني، كيماوي جرثومي)..

فالإنسان هو سيد هذا الكوكب وهو الخصم والحكم وهو مزيج من عالمين عالم نوارني رحماني يتمثل في العقل والروح، وهذا العالم النقي أصلاً ساحته السلام والرقي الكوني، وعالم مظلم يتمثل في النفس الشريرة المرتكبة لكل الآثام والأفعال الجرمية من أبسطها إلى أقساها وحشية وتخريباً وسلباً ونهباً.

فالنفس الزكية: تسعى دوماً إلى وحدة الإنسان مع أخيه الإنسان بروابط المحبة والتسامح والتعاون والتبادل الحضاري، بصرف النظر عن دينه ومعتقده وجنسه وجنسيته.

أما النفس الشريرة: فتسعى دوماً إلى التفريق والشقاق والقتل والنهب والتشرد وتُشرِّعُ سنناً وأحكاماً وفتاوى سياسية أو دينية تبرر لنفسها بموجبها أفعالها الشريرة هذه؛ تارة باسم الله الغفور الرحيم وتارة باسم الحضارة والتمدن ومكافحة الإرهاب والحرية والديمقراطية.

مثال على التكفير الديني المضاد:

أقام بعض رجال الدين الإسلامي أو المسيحي أو اليهودي التلمودي من أنفسهم وكلاء الله على الأرض، وادَّعوا أن مفاتيح الجنة والنار في جيوب جُبَبهم أو في لفائف عماماتهم، وبدوافع مادية وعصبية جاهلية أفتوا بقتل أتباع الطوائف أو المذاهب الأخرى وإباحة هتك أعراضهم وسلب أموالهم، كفتوى البابا أريان الثاني عام ١٠٩٤م بأن المسلمين والعرب كفرة ووحوش ويجب قتلهم وسلب أموالهم، وكفتوى ابن تيمية وحامد ابن نوح وغيرهما، بتكفير بعض أتباع المذاهب الإسلامية وإباحة قتلهم وهتك أعراضهم وسلب أموالهم.

هذه الحالة التكفيرية الدينية خلقت ردة فعل تكفيري مضاد لدى أتباع هذه المذاهب المُكَفَّرَ، فكانت النتيجة أن هذه الفتوى التيمية مزَّقت الجسد الإسلامي والعربي في آن واحد لبعض الوقت، لكن الوعي العام وانتشار العلم والثقافة جعل

هذه الآثار التكفيرية السلبية تتضاءل إضافة إلى الحالة الإيمانية التسامحية لدى أتباع المذاهب المُكَفَرَة الذين اعتبروا أن ابن تيمية وأمثاله لا يمثلون طائفتهم؛ بل يمثلون الفهم الخاطئ للدين والتعصب والتزمت اللذين لا مصلحة لأي من البشر بهما، في كل عصر أو أوان.

مثال على التكفير السياسي المضاد:

أ -تكفير اليهود الصهاينة للعرب الفلسطينيين بأنهم مخلوقات متخلفة غير قابلة للتحضر والرقي، وأنهم إرهابيون لا يمكن التعايش معهم وَتَفَنُّنِهم بإطلاق نظريات سياسية تكفرية تبيح قتل الفلسطينيين وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وتشريدهم، مستخدمين كافة الوسائل الإجرامية في تنفيذ سياستهم التكفيرية العداونية مع العلم أن العالم أجمع يعلم أن الفلسطينيين هم أصحاب الأرض (فلسطين كاملة) وهم شعب ذكي ومسالم وحضاري.

فجاءت ردة الفعل الفلسطينية التكفيرية الإيجابية وهي النضال من أجل التحرر والاستقلال واستعادة الوطن ومقدساته ضدَّ الحالة السلبية التكفيرية اليهودية التلمودية المغتصبة السادية.

ب - تكفير الإدارة الأمريكية السياسية للنظام العراقي واحتلال العراق وسلب خيراته بدعوى أنه نظام إرهابي ديكتاتوري وضد الديمقراطية والحرية وأنه خطر على السلام الدولي وبحجة امتلاكه أسلحة دمار شامل.

لقد جاءت ردة فعل العراق التكفيرية (نضالية جهادية)، تمثلت في المقاومة لطرد المستعمر المحتل (الولايات المتحدة الأمريكية وأتباعها)، واستعادة أرضه وسيادته حالةً إيجابية وضد الحالة السلبية المتمثلة في الاحتلال الأمريكي بفتوى سياسية كاذبة هي تحرير العراق واجتثاث أسلحة الدمار الشامل منه وهي ردة فعل يسوّغها منطق الفعل وردّ الفعل، فمن حق الشعوب أن تحرر أراضيها ممن يسعى لنهبها من أصحابها.

رأينا

إن صفحات التاريخ كانت وما زالت تئن تحت وطأة الأحمال الثقيلة المتمثلة في الحروب الظالمة والاعتداءات الجائرة وسُطِّرَت الصفحة التاريخية الأولى بيد قابيل الجانية بقتله لشقيقه هابيل بدعوى أن الله جل جلاله قَبِلَ تقدمة هابيل.

وهذا يعني أنه سيكون سيد قابيل، وصاحب الولاية؛ وبالتالي فهو أول صراع تكفيري بين عالمين وليس بين شخصين لأن هابيل يمثل التيار الأخلاقي الإنساني، وقابيل يمثل الاتجاه المعاكس الشرير الظالم المعتدي ثم تتالت الخطوط السوداء ترتسم على صفحات التاريخ.

وإن عدنا إلى إعادة قراءة التاريخ وتحليل وقائعه بجدية وعلمية نجد أن كافة الحروب والصراعات البشرية أساسها اقتصادي أو عصبية جاهلية (التعصب الديني أو القبلي أو القومي)

وإن أصحاب هذه الحروب والصراعات اللاإنسانية اللاحضارية كانت ومازالت تلعب بورقة الدين تارة وبورقة الحضارة والتمدن والحرية والديمقراطية ومكافحة الإرهاب تارة أخرى وقد تكون الحروب والصراعات والاعتداءات مباشرة (الاحتلال) أو غير مباشرة كالاستعمار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وذلك تبعاً للحالة الزمكانية لحياة الشعوب ومدى التطور العلمي والمعرفي والتكنولوجي.

فالفتاوى الدينية أو السياسية التكفيرية قديمة متجذّرة في النفوس الضّالة والجاهلة، وفي بعض الأنظمة الدولية المستكبرة اللاحضارية اللاإنسانية فعندما نقول:

إن الإدارة الأمريكية، وليس الشعب الأمريكي والتي يسيطر عليها اللوبي اليهودي التلمودي تدفع بالشعب الأمريكي وبمصالحه وحضارته إلى الهاوية، ومعاداة الشعوب بتأثير الفتاوى السياسية التكفيرية الصهيونية المصالح لبعض الدول الإسلامية كالعراق وإيران والسودان وغيرهم، وتبيح احتلال أراضيهم وانتهاك سيادتهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم بدعوى أنها دول إسلامية متخلفة وإرهابية وتمتلك أسلحة دمار شامل وتهدد السلم والأمن الدوليين في الوقت الذي تدعم وتحافظ على أكثر شعب إرهابي على وجه الأرض وهم اليهود التلموديون المتمثلون حالياً في الكيان الصهيوني المُفْتَعَلْ في فلسطين وتلمودهم شاهد على عقيدتهم وفكرهم الفاسدين.

فالتكفير السياسي كما هو التكفير الديني وفتاويهما المتعددة اللهجات والصيغ ما هي في الحقيقة إلا بُدعُ فاسدة أوجدتها نفوس شريرة لمصالح دنيوية دنيئة.

وإن الله السلام الرحمن الرحيم الغفور الحليم لم يفوض أحداً من خلقه أجمعين بتكفير الناس، وإباحة قتلهم وسلبهم وهتك أعراضهم.

والإنسان العاقل المسالم بريء من هذا الفكر التكفيري المدمر لكل شيء جميل على هذا الكوكب الجنة الأرضية.

فالفكر التكفيري حالة مرضية والفكر المسالم الحضاري حالة صحية.



الخاتمة

التوافق والانسجام والتعايش بالمحبة وحسن الجوار والتعاون والتبادل الحضاري من سمات البشر العقلاء الأحرار.

أما النزوع إلى الشر والبغضاء والإجرام والأنانية فهي من طباع الحيوانات الضارية. وكل جنوح بشري سواء أكان فردياً أو جماعياً إلى الشر فهو هجر للعقل والحكمة والمنطق الذي بارك الخالق العظيم الإنسان بها. وما الإنسان إلا عضو ضمن أسرة بشرية كبيرة والتي يجب أن تعمل وفق نظام إنساني عاقل مسالم متعاون.

فالرسالات السماوية الثلاث (التوراة، والإنجيل، والقرآن) نادت بوحدة الإنسان مع أخيه الإنسان وفق اتجاه روحي واحد، والمتمثل في نقاء النفس وصفائها من كدر الحياة وشرورها محققة دستوراً إلهياً ثلاثي الأبعاد (عبادة الله ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان مثل حبه لنفسه وبناء هذا الكون بناءاً خيراً).

فالدستوران الإلهي والوضعي يدعوان إلى المحبة والتسامح والتعاون والتعايش بسلام وكل فكر منافٍ لذلك هو فكر تكفيري إرهابي إجرامي.

وبالتالي فإن الفتاوى التكفيرية الدينية أو السياسية ما هي إلا حالات سلبية لا إنسانية مارقة على الدين وحقوق الإنسان المتفق عليها عالمياً. وما حالات التنوع البشري في الثقافات والمعتقدات والملل والنحل والجنسيات إلا بمثابة روافد مائية كثيرة تصب جميعها في محيط واحد هو المحيط الإنساني الخلاّق المبدع المحب المتعاون المسالم.

- وهنا أذكر قول المفكر والإنساني الشفاف ندره اليازجي في كتابه الطريق إلى الحوار ص ٩٩ -:

(قوس القزح الواحد الذي يتشتت إلى تنوعات ألوانه إنه يرمز إلى الضوء الواحد، والمنبث في العالم الأرضي إلى تنوعات ألوانه.

هكذا تتنوع الحضارات والثقافات في نطاق إنساني واحد، وهكذا تكون الكثرة إلى وحدة الإنسان وتعرية الفكر الديني التكفيري اللاإنساني).

كما نتوجه بالنداء إلى قادة وأباطرة العالم أن يتحلوا بالصِبْغَة الحسنة ويسعوا إلى تحسين خطابهم السياسي ونبذ التكفير السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي والدعوة قولاً وفعلاً إلى تحقيق وحدة الإنسان مع أخيه الإنسان بعيداً عن كل الاعتبارات الأخرى بما يحقق السلام الدولي.

وأحب أن أقول:

إن أصحاب الدعوات التكفيرية الدينية برأينا لا يمثلون طوائفهم ولا مذاهبهم بل يمثلون أنفسهم فقط.

بكل الأحوال سامحهم الله إن كانت فتاويهم التكفيرية هذه قد صدرت سواء عن جهل أو عن قصد.

كما أن الأنظمة الدولية صاحبة الفتاوى التكفيرية المعاصرة لا تمثل شعوبها بل هي تمثل الفكر اليهودي الصهيوني التلمودي وعلى الساسة العرب والمسلمين أن يوضحوا ذلك لشعوبهم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

فالأمريكي العاقل المسالم والأوروبي العاقل المسالم هو أخو العربي أو المسلم العاقل المسالم والحرب الآن هي حرب بين العرب والمسلمين من جهة، وبين الإدارة الأمريكية واللوبي الصهيوني التلمودي وأتباعهما من جهة أخرى؛ وهي حقيقةً ليست حرباً دينية، ولا هي حربٌ بين الشعوب، بل هي حرب المصالح اليهودية الصهيونية التلمودية.

وإنني أقول:

لإخوتي في الإنسانية في الأمريكيتين وأوروبا وكافة أصقاع الأرض أقول:

إننا جميعاً أسرة واحدة كبيرة ومصالحنا واحدة مترابطة وإن الفتاوى التكفيرية الدينية أو السياسية المعاصرة وأنصارها هم ضد البشرية كافة وعلينا محاربة هذه النزعات التكفيرية العدوانية ونعمل لتحقيق السلام بدل العدوان.

المراجع

أولاً - المراجع الإسلامية:

١ - القرآن الكريم:

٢ - تفاسير القرآن الكريم:

-الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي – ٢١ - مجلد مؤسسة الأعلمي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

- مجمع البيان في تفسير القرآن – أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي -٦ مجلدات – دار مكتبة الحياة – بيروت – طبعة جديدة.

- تفسير الصافي – المولى محسن الملقّب الفيض الكاشاني – ٥ - مجلدات – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩.

- اللباب في شرح الكتاب الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة السادسة ٢٠٠٣.

- تفسير الجلالين.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – مصر – الطبعة الثانية – ١٩٩٢.
- المعجم المفهرس بألفاظ نهج البلاغة – كاظم محمدي – محمد دشتي – مجموعة النشر الإسلامية – قم – طبعة عام ١٤١٧هـ.

٣ - الدراسات الإسلامية:

- ظهر الإسلام – أحمد أمين – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٦٩.
- فجر الإسلام – أحمد أمين – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٣٣.
- ضحى الإسلام – أحمد أمين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٩٣٨.
-ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة – عبد الله بن محمد القرني – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – بيروت ١٩٩٢.
-المعارج مجلة شهرية متخصصة تعنى بالدراسات القرآنية وحوار الأديان – تصدر في بيروت المشرف العام الشيخ حسين أحمد شحادة – الأعداد ٤٣/ ٢٠٠٣ والأعداد ٤٦ - ٢٠٠٤/٤٩.

ثانياً: المراجع المسيحية:

- الإنجيل لمتى، لوقا، مرقس، يوحنا].
- الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية – دار النشر المعمدانية – بيروت – صنَّفه القسّ - غسان خلف طبعة ١٩٧٩.
- معجم اللاهوت الكتابي – جمعيات الكتاب المقدس في المشرق – دار المشرق، بيروت – الطبعة الرابعة ١٩٩٩.

ثالثاً: المراجع الموسوية واليهودية:

١ - التوراة بنسخها الخمس [العبرية، الكنعانية، الآرامية، اليونانية السبعينية، السامرية].
٢ - التلمود.
٣ - مذكرات مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ومقرراته [المؤتمر الصهيوني التأسيسي العالمي الأول].
٤ - الكتاب المقدس [العهد القديم] جمعيات الكتاب المقدس في المشرق – دار المشرق، بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٨٨م.

رابعاً: المعاجم:

- محيط المحيط – بطرس البستاني – مكتبة لبنان – بيروت – طبعة جديدة ١٩٨٣.
- المعجم المدرسي.

خامساً: المراجع الأخرى:

- ماهية الحروب الصليبية – عالم المعرفة العدد ١٤٩ الدكتور قاسم عبده قاسم – تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.
- قصة محاكم التفتيش في العالم د. بسام سخيطة – دار هيا للنشر والتوزيع دمشق – الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- أحمد أسعد الحارة -ديوان الحارة، الكتاب الثاني، الطبعة الثانية لعام ١٩٩٢م
- الصهيونية والأديان ومستقبل الأمم د. إبراهيم مصطفى المحمود – دار العلم – دمشق – الطبعة الأولى حزيران ٢٠٠٣.
- قضية الإرهاب بين الحق والباطل – عبد الرحمن عمار – صادر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق ٢٠٠٣.
-جدل حول صهيون: دوغلاس ريد – ترجمة غياث كنعو – مراجعة وتقديم د.محمد محفل – طبعة ثانية ١٩٨٨ دار الحصاد – دمشق.
- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود: إسرائيل شاحاك – قدّم له إدوار سعيد – ترجمة رضى سلمان الطبعة السادسة ٢٠٠١ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت.
- مفهوم العقل عبد الله العروي – الطبعة الثالثة – ٢٠٠١ – المركز الثقافي العربي بالمغرب – الدار البيضاء.

- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني – د يوسف الحسن – مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الأولى – بيروت ١٩٩٠.
- الطريق إلى الحوار – ندرة اليازجي – صادر عن دار أمواج بيروت لعام ٢٠٠٤ طبعة أولى.
- الإسلام والأمة الإسلامية، محضير محمد، إصدار لاندوك (ام) المحدودة عام ٢٠٠١م كوالا لمبور.



الفهرس

ف: 859 ت:29/1/2009

التكفير والتكفير المضاد

إضاءة في سطور

التكفير والتكفير المضاد عنوان يحمل بين طياته مرآة عاكسة لباحث ميزته الجرأة والصدق والتحدي، باحث أسقط من حساباته كل اسم للتعصب حتى استطاع تقصي أغوار الحقائق.

فانداحت إنسانيته الثائرة ضد كل من يُشرّع بالنصوص الدينية ويجد لها فتوى يبيح من خلالها (القتل والذبح والنفي واستباحة الأعراض) لأبناء البشر.

فايز علي سلهب القاضي سابقاً، موهبة تفور كالبركان (ضد الظلم والظالمين) لكشف الحقائق وفضح المختلسين للمراتب الدينية والذين نصّبوا أنفسهم على رقاب البشر..

مشيراً إلى هؤلاء بأنهم الخارجون عن الأصول الحقيقية سواء أكانوا يهودا تلموديين أم مسيحيين أم مسلمين. الذين فسروا بعض النصوص السماوية تفسيراً شيطانياً مقصوداً أو عن جهل، وبذلك غرسوا بذور التفرقة في الدين الواحد، وظهرت الفرق والطوائف والمذاهب، وجسدوا حالة الكره والبغضاء التي وصل [illegible] العالم وكمثل، يذكر الكاتب بالزمان والمكان جرائم [illegible] الإسبانية والبرتغالية التي استخدمت في بداية القـ[illegible]ر والذين تم اختيار أعضائها من رهبانية الدومينيكا[illegible]ن الساديين منهم، وما ألحقوه بقدوة المجتمعات تنفيذ[illegible]ة التي تتعارض مع العلم والحقيقة والدين.

نتمنى للباحث كل التوفيق والنج[illegible]

الناشر

